ملحمة عمر

رستم

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

ملحمة عمر

موقع الأديب
★ علي أحمد باكثير ★
www.bakatheer.com

رستم

علي احمد باكثير

دار البيان
الكويت

حقوق الطبع محفوظة للناشر

الناشر
دار البيان
ص.ب: ٢٠١٧ - برقيا: تريث
الكويت

الطبعة الأولى
١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠ م

محمد شهاله
www.bakhabeer.com

ممثلين

بسم الله الرحمن الرحيم

المشهد الاول

رستم في غضب وعنده القواد : الفيرزان والهرمزان والجالينوس وبهمن جاذويه وغيرهم .

رستم : تَبًّا لكم ! كيف يأتي عربيّ من مَسيرة فَرسخَيْن فيَجُوسَ مُعسكرَكُم ، ويهْتِكَ عليكم أطْنابَكم ، ويستَاقَ فَرَساً من أفْراسِكم ، ثم ينجُوَ بعد هذا كُلّه ؟

الفيرزان : سَل الحرسَ ماذا كانُوا يصنَعون ؟

رستم : الحرسُ مسئولون عن المدَاخِل والأبْوَاب ولكنَّهم ليسُوا مسئولين عن أطْنَابكم التي هَتَكها العربيُّ واحداً بعدَ واحدٍ وأنتم نائمُون .

الفيرزان : كلاّ مَا كنا نائمين .

رستم : أكنْتُم مستيْقظين ؟ فذلك أدْهى وأمرُّ !

الجالينوس : أنا كنْتُ نائماً ولم أشعُرْ بشيءٍ .

جاذويه : وأنا كذلك .

الفيرزان : لكنّا كنّا خارجَ المعسْكر .

رستم : خارجَ المعسْكر ؟ أيْن ؟

الفيرزان : أخبرْه يا هرمزان أينْ كنّا .

الهرمزان : (بعد تردُّدٍ) في القرْيَة المجاورَة .

رستم : ماذا كنْتما تصْنَعان هُناك ؟

الفيرزان : كنا نلْهُو ونسْمُرُ .

رستم : لا غرْوَ إذن أن يقَعَ بنا ما وقَع .

الفيرزان : التبِعَة على الذين كانُوا في المعَسكر .

رستم : يجب أن تعلَموا أننا ما جئْنا هنا للهْو واللّعب .

الفيرزان : أجلْ جئْنا للقتال ولكن أيْنَ هُو القتالُ ؟ لقد قَضَيْنا ثلاثةَ شُهُور منْذ خرْجنا من

المدَائِن وما زلْنا حتى اليومِ في الطَّريق .

رستم : إنك تَعلْمُ قَصْدي فلا تتجَاهلْ .

الفيرزان : لكن شاهِنْشاه لا يَرَى هذا الرأيَ معك . إنه أمَرَك أن تُناجزَ العدُوّ في أقرَبِ وقتٍ وكان عَليك أن تُطيعَه .

رستم : انما هو رأيٌ تقدَّم به اليَّ ، وليَ أن آخذَ به أوْ لاَ آخذَ به .

الفيرزان : ولكن ليْسَ لك أن تُخَادِعَه .

رستم : أخادُعه ؟

الفيرزان : نعم . تُظْهِر مُوافقَتَه وتُبطِنُ مُخالفَتَه .

رستم : دَعْ عنكَ هذا ولا تُحاولْ أن تتنَصّلَ من تَبِعَتِكَ بإلْقائِهَا على غيْرِك .

الفيرزان : بل أنت الذي تَنصّلْتَ من التّبعة وحاوَلْتَ أن تُلقِيَها عليّ .

رستم : بقضَائِي الليلَ أَلْهُو في القرْيَة المجاورَةِ ؟

الفيرزان : لو كنْتَ خارجَ المُعسكر لعذرْنَاك .

الجالينوس : هذا أحدُ المطَارِدِين قد أقبلَ !

رستم : نادِهْ إلَيْنَا .

الجالينوس : هلُم يا فارسُ ! أسْرِع للمثول أمامَ القائدِ.

(يدخل جنْدي بملابسِ الفُرْسَان وهو يَنْهَجُ من الإعْيَاء) .

رستم : ماذا وَرَاءكَ ؟

الجندي : (لا يجيبُ) ...

رستم : وأيْنَ رِفاقُكَ ؟

الجندي : (لا يجيب) ...

رستم : ألم تلحَقُوا ذلك العربيّ ؟

الجندي : بلَى يا سيدي القَائد . لِحقْنَاهُ ولكن ...

رستم : ولكنْ مَاذَا ؟

الجندي : أخْشَى إن حدّثْتُكَ يا سيدي ألا تُصَدّقَنِي أوْ أن تغْضَبَ مِنيّ .

رستم : كلاَّ لا تَخفْ . إني أريدُ الحقيقةَ فاقصُصْ عليّ كلَّ ما حدَثَ .

الجندي : ركبْتُ في طلَبِهِ ونحْنُ أربعةُ فُرسَانٍ، جَوَادهُ الهَزِيلُ يجْرِي كالريح ، وإذا الفرَسُ التي استاقَهَا منا كأنهّا تُبَارِيه . وبعد لأيٍ استَطَاع أحدُنا وهُو هُرْمز أن يلحَقَه ، أو إن شئْتَ الحقَّ فقَدْ كانَ العربيُّ هُو الذي طَامَنَ من عَدْوِه حتى لِحقَه هُرْمز، فما هُو إلا أن قَتلَه العَربي في مثْلِ لمحِ البَصَر وانْطَلَق .

رستم : كيف قتلَه ؟

الجندي : لا ندْرِي كيف قتَلَه .

رستم : ثمَّ مَاذا ؟

الجندي : ثم لِحقَه شهْرَبراز فقَتَله العربيُّ في مثْل لمْحِ البَصَرِ ، وانْطَلَقَ وانطلقْتُ خلْفَه حتى شارَفْنا مُعسْكرَهم في القادِسيّة فلحِقَه مهْران البغْداديُّ

رستم : (ضائق الصدر) فقتَلَه العربيّ في مثلِ

لمحِ البصَرُ !!

الجندي : كلا يا سيدي بل اختَطَفَه من سَرْجِه وانطلَقَ به إلى مُعَسكرهم. فَخشِيتُ أنا أن أقَعَ في أسْرِهم فكرَرْتُ على عَقِبي لأنذِرَكم. وقد خُيّل إلي أنهم أرْسَلُوا خلْفِي مَن يُطَارِدُني ولكنّي فُتّهم وأنا لا أكَادُ أصدّقُ.

(يدخل أحد الحجاب)

الحاجب : معذِرةً يامولاي. شيخٌ كبيرٌ مِنَ الّمَارِق يستأْذِنُ عليك.

رستم : مِنَ العَرَب ؟

الحاجب : لا أدْرِي يا سيدي. ولكنْ في وجْهِه مَلاَمِحُ منهم.

رستم : إيّاكَ أن يكونَ من هؤلاءِ المسْلِمين الغُزَاة.

الحاجب : كلا يا سيدي... إنه يَقِيناً سَوَادِيّ من أهْلِ هذه القُرَى.

رستم : ألم تسْأله ماذا يُريدُ ؟

الحاجب : أبَى إلا أن يُشَافِهَك بما يُرِيد.

الفيرزان : الرأْيُ عندِي أن تأْمرَ بطَرْدِه، فعسَى أن يكونَ جاسُوساً للعدو.

الهرمزان : أجلْ فقد تَبَيّن لنا أنّهم ذَوُو كَيْدٍ.

رستم : (للحاجب) بل ائْذَن له. (يخرج الحاجب) هَبُوه جاسُوساً فَجَزاءُ الجاسُوسِ أن يُقْتَل لا أن يُطْرَدَ.

الفيرزان : فلتَأْمُرهمْ بقَتلِه.

رستم : قبل أن نَعرِفَ ما شأْنهُ ؟ من يَدرِي لعلّ عندَه علْماً عن العدُوّ يُريد أن ينفَعَنا به.

(يدخل الشيخ السوادي وهو هَرِمٌ مُتَهَدّمٌ).

الشيخ : أصلَحَ اللهُ أمرَك يا سيدَ القوّاد.

رستم : ماذا عندَك يا شيخ ؟ قلْ وأوْجِزْ.

الشيخ : أنا مِن قرْيَةِ النارق يا سيدي القائد

بَعَثَني أهلُها إليْكَ لِتُنصِفَهم من بَغيْ رِجَالِك، فقد سَلبُوا خمُورَهم واعتَدَوْا على نسَائِهم.

رستم : متَى كانَ ذلك؟ البَارِحَةَ؟

الشيخ : البارِحَة والبارِحَة الأُولى.

رستم : فلِمَاذا لم تجيئُوني أمس؟

الشيخ : ظنّوا أنّما هِي ليْلةٌ واحِدةٌ فاحتَمَلُوا ما أصَابَهم، فلما تكرّرَ العدْوانُ عليهم أرسَلُوني اليومَ فقدْ بلَغَهم أنّك لا ترْضى لهم هذَا الظّلْمَ

رستم : أأنتَ رَئيسُهم؟

الشيخ : لاَ يا سيدي أنا رَجلٌ منهم.

رستم : فلِمَاذا اخْتَارُوك وأنت شيْخ كبيرٌ؟

الشيخ : لأني قد قضَيْتُ وَطَرِي من الحيَاةِ فإن أصَابَني شيءٌ من انتِقَامِكم كنْتُ بذلك فِدَى قومِي وأهْلِ قرْيَتي.

رستم : (في رثاء) يا للهِ! أوَ قَدْ بلَغَ بكم الخوف مِن ظُلْمِنَا وظُلْم جِنُودنا إلى هذا الحدّ؟ خبِّرْني يا شيخ وأصْدُقْني ألم يُصِبْكم مثلُ هذا من جنودِ العَرَبِ إذ كانُوا يحكمونَكم؟

الشيخ : وَحياةِ رأسِكَ يا رُسْتم يا بَطَلَ فارسَ ما وقعَ منهم شيءٌ مِنْ ذلك. لقَدْ كانُوا يحافِظون علَيْنا وعلَى نسَائِنا وأمْوالِنا حِفاظَهم على أنفُسِهم.

الفيرزان : هذا كذِبٌ.

الشيخ : ماذا يَحْمِلُني يا سيدي على الكَذِب وأنا بيْن يَدَيْ رُسْتم؟ سَلُوا أهلَ هذه القُرَى كلَّها تجدُوا مِصْداق قَوْلي.

الفيرزان : أمَا كانُوا يأخذُون منكم شيْئاً؟

الشيخ : لا شيءَ غيْر الجزْيَة المعْلُومة وغيْر الخراجِ المتَّفَقِ عَلَيْه، وإنّهم ليتَحرّجُون

أن يأخذوا أكثر ممّا ينبغي لهم فيُسقِطون لنا شيئاً منه .

الفيرزان : أتصدّقون مِثْلَ هذا الكلام ؟

الشيخ : هذا يا سيّدي أمرٌ شائعٌ معلومٌ عندَ الجميع.

الفيرزان : بل اختلقتَه أنت . كل ما قلته كذبٌ واختلاقٌ . إنك تُدافعُ عن هؤلاءِ الأجلافِ لأنّك عربي مثلُهم .

الشيخ : أنا لستُ عربيًّا يا سيدي أنا مِن الأنباطِ.

الفيرزان : بل أنت مِن العرَب .

الشيخ : لو كنتُ منهم لاعتدَدْتُ بذلك أمامَكم، فليسَ من أهلِ السواد مَنْ قاتَل هؤلاء الغُزاة مثلَ عرَب السّواد .

رستم : خبّرني الآن هل تعرفُ أولئك الجُناةَ من جُنودنا اذا رأيتَهم ؟

الشيخ : (يتردّدُ بصرُه بين الفيرزان والهرمزان) يا سيدي اذا أردْتَ أن تُنصِفَنا ، فلن

يعْسُر عليك أن تهْتدِيَ اليهم بوَسيلةٍ أخرى من وَسائلك .

رستم : صدقْتَ أيها الشيخُ ، لأهتَدِيَنّ اليهم فلأجعلَنّهم نَكالاً لغيرهم .

الشيخ : ائذنْ لي الآن ان أنصرِفُ .

رستم : ألاَ تبقى عندنا حتى ترى كيف أعاقِبُهم؟

الشيخ : لا يا سيدي بحَسْبي هذا الوعدُ منك . سأحمِلُه إلى قومي فسيفْرَحون ويدْعُون لك . (يخرج)

رستم : أوصِلُوه الى مَأْمَنِهِ . (يتنهد) يا وَيْحَهم يكْفِيهم قليلٌ من العَدْل لو وَجدُوه!. أحضِروا ليَ كلَّ الجنودِ الذين ذَهبُوا الى قَرْية النمارِق البارِحة والبارحة الأولى .

الهرمزان : ماذا أنت صانعٌ بهم ؟

رستم : لأعاقِبنّهم

الهرمزان : هؤلاءِ لا يقِلون عن خَمْسمائةِ رجلٍ .

رستم : لأعاقبَنّهم ولو كانُوا الجيشَ كلّه .

جاذويه : اني أنصحُك يا رُسْتمُ بالاّ تفعلَ . لا ينْبغِي أن نعَاقِبَ هؤلاءِ علىَ ما لَيس بِدعاً من أمْثالهم فَقدْ ارتكبُوا مثْلَ هذا في القُرَى والمدُن التي مَرّوا عليها قبْلَ النارِق . فما شَكَا منْهم أحدٌ ولا عاقَبَهم أحدٌ .

الجالينوس : ثِقْ يا سيدي أن هؤلاءِ الأكارين ان نَالَهم بعضُ الظُّلمِ من بعْضِ الجنودُ فَقَدْ كسَبوا منهم أضعَاف ما خسِروه . أما النسَاء فكيف تَعرِفُ من اغتُصِبَ منْهن مِمّن لم يُغْتصَب ؟

رستم : كان علَيْهم ألاّ يتّصِلُوا بأحدٍ منهنّ .

الفيرزان : ان كنْتَ تريدُ أن تمنَعَهم من النساء فدَعْهُم يُحضِرُوا زَوْجاتِهم معهم .

رستم : أتَرْضَى أنت يا فيرزان أن تُحْضِر زَوْجتَكَ معكَ ؟

الفيرزان : كلاّ . زوْجتي ليْسَت كزوْجاتِهم . زوجتي امرأةٌ مُحَجّبة مَصُونة .

رستم : انك دائماً تَرَى لنفْسِكَ من الحقِّ ما لا تَرَاه لغَيْرِكَ .

المشهد الثاني

قصر قديس في القادسية .
خيمة نصبت لسعد بن ابي وقاص الى جانب القصر .

سلمى : أراكَ مهْموماً يا سعْد . ماذا يُشْغِلُ بالَكَ ؟

سعد : أنا على رأسِ هذا الجيشِ يا سلْمى، فكيفَ لا يُشْغَلُ بالي ؟

سلمى : هذا جوابٌ لا يُرضِيني منك .

سعد : لِمَـــه ؟

سلمى : ما كُنْتَ هكذا من قبْل .

سعد : لا غَرْوَ يا سَلْمى أن تزدادَ هُمُومي كلَّ يوم .

سلمى : أفلا تُكاشِفَني لعلّي أشيرُ عليـــكَ أو أسْرّي عنكَ ؟

سعد : في هَذه الشؤُونِ يا سلْمى ؟ في شؤون الحرْبِ ؟

سلمى : لَا تنْسَ يا سَعْد أنني دَرَجْتُ في هذا العُشِّ منذ كنْتُ ...

سعد : (ينظر إليها ملياً) هل كان المُثنّى رحِمَه الله يسْتشِيرُكِ ؟

سلمى : في كلّ صغِيرَة وكبِيرَةٍ .

سعد : فلعَلّ كثِيراً من أسْرَارِه كان يَتَسَرّبُ إلى العدُو .

سلمى : مِن خِلالي أنا ؟

سعد : من خِلال مَنْ تُفْضِينَ إليها بأسْرَارِك .

سلمى : من ذا تَعنِي ؟

سعد : لقدْ آنَ ليَ أن أُصارِحَك . أعْنِي صاحِبَتَك هذه الفارِسيَّة .

سلمى : شِيرِين ؟

سعد : نَعَم .

سلمى : يا صاحِبَ رسولِ الله ما كنْتُ أتوَقّعُ أن أسْمعَ فيها مثلَ هذا القَوْلِ منْكَ .

سعد : وأنا ما كنْتُ أتوقّع منها أن تُكاتِبَ العدوَّ بأخْبارِنا .

سلمى : حاشَ للهِ أن تفْعلَ . مِمّن سمعْتَ هذِه الفِرْية ؟ مَن الذي نَقلَها لك ؟

سعد : لا تعْجَلي بالتكْذِيب على غَيرِ بُرْهانٍ.

سلمى : وأنت هل لدَيْكَ على التّصْدِيق بُرْهان ؟

سعد : لو كانَ عندي البرَهانُ ما تركْتُها يوماً واحداً دونَ عقوبَة .

سلمى : هذه تُهْمَةٌ كبيرةٌ ما كان لك ان تُوَجّهها إلى أحدٍ حتى تسْتَثْبِتَ .

سعد : أَلَمْ تُكاتِب الملكة بُوران يوم ذَهب وفْدُ المسلمين إلى المَدائِن ؟

سلمى : بلى أرسَلَتْ إليها كِتاباً مع زَوْجِها تدْعُوها فيه إلى الإسْلامِ .

سعد : لعلّها أرادَتْ تَضْلِيلنا بذلك .

سلمى : ما أرْسَلَتْ كتابَها إلا بعد ما استَأْذَنَتْكَ فأذِنتَ .

سعد : ما كان يدُورُ بخلَدِي أنها تُبْطِنُ العداوَةَ للإسْلامِ .

سلمى : شِيرِين تُبطِنُ العداوَةَ للاسلام؟ شيرين المؤْمنة الصالِحةُ ؟ ومَن الذي يَتّهِمُها ؟ أنتَ يا سعدُ ! أنت الذي طالَما أثْنَتْ عليْكَ عندي وطالما أَلَحّتْ عليَّ لأقْبلَك، فكان لها الفضْلُ الأولُ في زَواجي منك !

سعد : ما يُدْرِيك لعلها ما اهْتَمّتْ بزَواجِك مِنّي إلا من أجلِ هَذا الغَرَضِ المُرِيب.

سلمى : لعْنَةُ الله علىَ الذي قَذَفَ هذه الرِّيبَة في نفْسِك.

سعد : لا تلْعَنيه فقد ابْتَغَى وجْهَ الله ونصَحَ

للاسلامِ والمسلمين .

سلمى : ما إخالهُ إلا شَيْطاناً يُريدُ أن يُفْسِد المسلمين بعضَهم على بَعْض. ليتَ شِعْري مَن هذا الذي يُضْمِرُ لشِيرين كلَّ هذا الضَّبِّ ؟

سعد : واللهِ يا سَلْمى ما اتَّهَمَها أحدٌ عندي أَلْبَتة، ولكن قِيلَ لي إن شخْصاً في مُعَسْكرنا يُكاتِبُ الفرس بأخبارِنا وأَسْرارِنا فالقِيَ في روعِي أنها هي ذلك الشّخصُ .

سلمى : أُلْقِيَ في روعِكَ ؟

سعد : نعم إذْ لم أجِدْ في مُعسكرِنا أحداً أقرَبَ منها إلى هذه التُّهمةِ .

سلمى : وهل سألتَ ذاك الذي أخبرَك كيف عَرَفَ ما عَرَف ؟

سعد : عرفَ ذلك حينَ كان في مُعَسْكر الفرس.

سلمى : أهُو طُلَيحة بن خُوَيلِد ؟

سعد لا بل أَسِيرُه الفارِسي الذي أَسْلَم .

سلمى : أتصدقُ قولَ فارسي أَسْلَم منذ يومَيْن ليعْتِقَ نفسَه من ذُلّ الأَسْر ، في أَمِيرَة فارِسية أَسلَمتْ وأَخلَصَتْ إسلامَها للهِ منذ أيام أبي بَكر ؟

سعد : انه ما اتّهمها ولا ذكرَ اسمَها ألبتةَ .

سلمى : ما دُمتَ تتظنى يا سعد وتتَجنّى ، فلِمَ لا تقُول انه يحقِد عليها ويُريد أن يُلحِقَ بها سُوءاً ، ولكنه امْسَك عن ذِكْر اسمِها وسَلَكَ سبيلَ التعمِية حتى يصلَ الى غايَتهِ دون ان تَرتَاب في نيّته ؟

سعد : للهِ ابوك يا سلْمى، لقد ابْعدْتِ مَرْماك!

سلمى : ليس بأبْعد يا سعد مما رَميْتَ .

سعد : اني كاشَفْتُ سلمان الفارسي في هذا الأمر، فصدّقَ ظَني .

سلمى : سلمانُ الفارسي لا يَعْرِف شيرين خَيراً

مما تعرفها انت . ولكني أنا عاشرتها دهراً وعشت معها في بيتٍ واحدٍ ، فلا والله ما علمت عنها إلا خيراً ، ولا والله ما رأيت أحرص منها على صلاة ولا أحفظ منها لقرآن .

سعد : والله ما شيء أحبُّ إلى نفسي من أن يكون رأيك في شيرين أصدق من رأيي ، فلنراقبها يا سلمى من وراء وراء حتى يقضي الله لنا في أمرها أمراً .

سلمى : أنت فراقبها إن شئت ، فأما أنا فدعني من شأنها ولا تحملني ما لا أطيق .

سعد : فاكتمي عنها هذا الذي دار بيننا الساعة .

سلمى : أما هذا فلست بحاجة إلى أن توصيني به .

سعد : (ينظر من خلال الكوة) هذا خالد بن عرفطة قد أقبل ومعه الرهط .

سلمى : أتراك دعوتهم للنظر في أمر شيرين ؟

سعد : ويحك هذا أمر لا يعلم به غيري وغيرك ، وغير سلمان الفارسي .

صوت : يا سعد

سعد : ادخل يا سلمان .. ادخلوا . (لسلمى التي تهم بالخروج) إن سمعت شيئاً يا سلمى فاكتميه عن صاحبتك .

سلمى : أتتهمني أنا أيضاً ؟

سعد : معاذ الله . (تخرج سلمى)

(يدخل خالد بن عرفطة وسلمان الفارسي وزهرة بن الحوية وطلحية بن خويلد ومسلم)

سلمان : السلام عليك يا أمير الجيش .

سعد : وعليكم السلام ورحمة الله . ماذا وراءك يا طليحة بن خويلد ؟

طليحة : انطلقت أنا وصاحبي هذا ، فوجدنا طلائع رستم على ثلاثة أميال من هنا تنتظر بقية الجيش .

سعد : أتراهم يبيتُون الليلةَ عندنا في القادسيةِ ؟

سلمان : ما أظنهم فاعِلين، لقد عوّدَنا رستم السيرَ البَطِيءَ .

طليحة : وليسَ مِن مصلحتِه أن يَدخُل القادسيةَ في وجْه الليل .

سلمان : لكنْ علينا أن نكونَ على تعبئة حتى لا نُؤْخَذَ على غِرّة .

سعد : كيف حالُ الجيشِ يا خالِدُ ؟

خالد : بخيرِ حالٍ . كل تحْتَ عَرِيفه وكلُّ عريفٍ تحْتَ أمِيرِه ، على أُهبةٍ للقاءِ عدُوهم بليْل أو نهارٍ .

سعد : والعِيالاتُ التي تركْناها بالعُذيب ؟

خالد : خيّرناها كما أمرْتَ ، فمَنْ شاءَ لحِقَ بنا ومَنْ شاءَ بَقِي حيثُ كان .

سعد : وقَنطَرة العَقيقِ يا زُهرة ؟

زهرة : هذا ما جِئْتُ من أجله يا سعْد . فلسنا

ندْرِي ماذا يُريدُون منا أن نصنَع ؟ هل نَصُدهم عن القنْطرةِ صدّاً يسيراً حتى إذا رأيْنا الجدّ منهم في الهُجُوم علينا خلّيْناها لهم ، أو نُدافِعهم عنها حتّى الموْت ؟ فإن كانت الأولى فبحسْبي مَن معي من الرجال. وان كانَتْ الثانِيَة فلا بُدّ من تعْزِيزِهم بثلثمائةِ رجل من الأبْطال .

سعد : ماذا ترى يا سلمان ؟

سلمان : أرَى أن تُجيبَ زُهرة بن الحوية إلى ما طلَبَ ، فتضُمّ إليه ثلثمائةِ رجلٍ آخرين أو أكْثرَ .

سعد : كأنكَ ترى أن يُدافِعُوا عنها حتى الموْت؟

سلمان : أجلْ ، فالذين فيها مِنَ المسلمِين سيكونُون شجاً في حلْق رستم وقذىً في عَيْنه ، فلن يجدَ بُدّاً من مُبادأتِنا القِتال . وبذلك نُحقّق ما أوْصانا به أميرُ المؤمنين في عامّة كتُبِه .

سعد : لكنّ أميرَ المؤمنين أوْصانا بالاّ نعْبُرَ إليهم بل ندَعُهم يَعْبُرون إلينا .

سلمان : فليَعْبُروا إلينا من سَبيلٍ آخرَ غيْر سَبيل القَنْطرة ، ليَكونَ ذلك أَصْعبَ عليهم وأنصَبَ .

سعد : فليَكُنْ ما تُحب يا زُهرة . اختَرْ لك ثلثمائةٍ من أَهْل النجْدَة ممّن يُحب أن يكونَ معك مُتَطوّعاً دونَ إكْراهٍ .

زهرة : هل لك يا طُليْحَة أن تكون معي أنتَ وصاحبُك ؟

سلمان : كلاّ دَعْ هذَيْن للطّلائِع ، فلا غِنىً لنا عن طُلَيحة ولا عَن مُسْلمٍ في الطلائِع .

سعد : أوَقد سميتمُوه مُسْلِما ؟

سلمان : نَعَم .

سعد : وما اسْم أبيهِ ؟

سلمان : لم يشَأْ أن يُخبِرَنا باسْم ابيهِ .

سعد : لِمَه ؟

سلمان : يُرِيدُ منّا ايضاً ان نُسَمّيَ اباه .

سعد : فلنسَمّه عبدَ الله .

سلمان : مُسْلم بن عبد الله . هذا حسَنٌ .

طليحة : (يشد يد صاحبه في حرارة) مُسْلم بن عبد الله . انت مُسلم بن عبد الله .

مسلم : (يشير الى نفسه مُسْتفْهِماً) مسلِمُ بن عبد الله ؟

طليحة : نعم .

مسلم : (يعقِد سبّابته اليمنى بسبابته اليُسرى) طُلَيحَة بن خُوَيلد ، مسلم بن عبد الله .

طليحة : اَجلْ .. نحنُ أَخوَان .

(يعتنقان في حَرارة وإخْلاصٍ ، بينما ينظر الآخرون إليهما في رضىً وإعْجاب)

المشهد الثالث

معسكر الفرس بالقادسية يفصل بينه وبين
معسكر المسلمين نهر العتيق .
تل صغير ضربت لرستم خيمة فيه .

(يُرفع الستار عن رُسْتم وبهمن جاذويه جالسَيْن في فِناء الخيمة ، وأمامهما الترجمان العربي عَبّود ، وخلف رستم يقف حاجبُه الرُفيل)

رستم : هل سألْتَ عن اسمه يا عَبُّود ؟

عبود : نعم يا سيدي اسمه زُهرة بن الحويّة ؟

رستم : (لجاذويه بصوت خافض) كالذي وَرَدَ في الرسالة ؟

جاذويه : تماماً .

رستم : (لعبود) قالَ إنه يُرحّب بلقائي ؟

عبود : نعم يا سيدي حَيْثُما تُريد .. عندَه أو عندَك .

رستم : إنّ نفسي تُنازِعُني أن أذْهب إليه .

جاذويه : كلاّ لا تَفعلْ .

رستم : ماذا تَخْشى عليّ منهم ؟ إنك تعْلَم أنّهم قومٌ لا يغدِرُون .

جاذويه : لكنّكَ يا سيدي صيدٌ ثَمِينٌ .

رستم : أتَظُنّ ؟

جاذويه : من يَدْري ؟

رستم : (لِعبود) ارْجِع إليه فقُلْ له إني أُرَحّب به عِنْدي هُنا ، لأتحدّثَ إليه في هُدوءٍ على هذا التلّ .

جاذويه : على ألاّ يَجيءَ معه من رِجاله بأكثرَ من عشَرَة .

عبود : هلْ أُقولُ له ذلك ؟

رستم : نعم قلْ له ذلك في لَبَاقَةٍ .

عبود : سمعاً يا سيدي (يخرج)

رستم : ماذا قالَتْ عنه في رَسالتِها يا بهمن ؟

جاذويه : قالتْ إن أصْلَه من أمَراءِ هَجَر ، وقد زَهِد في إمَارَتِه لَمّا أسْلَم .

رستم : (يحرك رأسه متعجباً) ألا تَعْجَبُ مِن ذَلك يا بهمن؟

جاذويه : امَارةٌ صغِيرَة لا قيمةَ لها .

رستم : لو كنْتَ أنت مكانَه ما نَزلْتَ عن ضَيْعةٍ واحدة من ضِيَاعِك .

ينهض من مكانه وينظر الى جهة القَنْطرة)

جاذويه : (يقترب منه) ماذا تَتَأمّلُ ؟

رستم : أتأملُ هذه القنطرةَ

جاذويه : ما زلْتَ تعْجَب من احتِلاَلِهم هَـذا الجانبَ منْها ؟

رستم : أجلْ ما زِلتُ أعْجَبُ من جَرْأتِهم علىَ ذلك .

جاذويه : ألم تجدْ في الرسالة التي أطلعتك عليها تفسيراً مقْنِعاً ؟

رستم : يريدُون تحدّينا واستِفزَازِنا حتى نُنَاجِزَهم القتالَ ؟

جاذويه : نعم .

رستم : إذن فلاَ وَاللهِ لا أمَكّنهُم مِمّا يُريدون . لأمْضِيَنّ في مُطَاولَتهِم حتى ينفَـدَ صبرُهم فيعْبرُوا إلينا أو يعودُوا خائِبين إلى عمر .

جاذويه : وشاهِنْشاه ؟

رستم : (محتداً) على شاهنشاه أن يَتركَنِي وشأْني إن شَاءَ أن أكْسَبَ له النصْر ، وإلا

عبود : هلْ أُقولُ له ذلك ؟

رستم : نعم قلْ له ذلك في لَبَاقَةٍ .

عبود : سمعاً يا سيدي (يخرج)

رستم : ماذا قالَتْ عنه في رَسالتِها يا بهمن ؟

جاذويه : قالتْ إن أصْلَه من أمَراءِ هَجَر ، وقد زَهِد في إمَارَتِهِ لَمّا أسْلَم .

رستم : (يحرك رأسه متعجباً) ألا تَعْجَبُ مِن ذَلك يا بهمن؟

جاذويه : امَارةٌ صغِيرَة لا قيمةَ لها .

رستم : لو كُنْتَ أنت مكانَه ما نَزلْتَ عن ضَيْعةٍ واحدة من ضِيَاعِك .

ينهض من مكانه وينظر الى جهة القَنْطرة)

جاذويه : (يقترب منه) ماذا تَتَأمّلُ ؟

رستم : أتأملُ هذه القنطرةَ

جاذويه : ما زلْتَ تعْجَب من احتِلاَلِهم هَـذا الجانبَ منْها ؟

رستم : أجلْ ما زِلتُ أعْجَبُ من جَرْأتِهم علىَ ذلك .

جاذويه : ألم تجدْ في الرسالة التي أطلعتك عليها تفسِيراً مقْنِعاً ؟

رستم : يريدُون تحدّينا واستِفزَازِنا حتى نُنَاجِزَهم القتالَ ؟

جاذويه : نعم .

رستم : إذن فلاَ وَاللهِ لا أمَكّنهُم مِمَّا يُريدون . لأمْضِيَنّ في مُطَاولَتهِم حتى ينفَـدَ صبرُهم فيعْبرُوا إلينا أو يعُودُوا خائِبين إلى عمر .

جاذويه : وشاهِنْشاه ؟

رستم : (محتداً) على شاهنشاه أن يَترُكَنِي وشأْني إن شَاءَ أن أكْسَبَ له النصْر ، وإلا

فليُسْنِد القيادةَ إلى غيري !

جاذويه : هذا ما يتمنّاه الفيرزان .

رستم : فليَبُؤْ هذا الأبعَدُ بوِزْر الهزيمةِ !

جاذويه : رستم . أنت أَملَ فارسَ الوحيدُ فَلاَ تَنْسَ فارس .

رستم : تلك هي مَاسَاتِي يا جاذويه .

جاذويه : دعْ عنك هذا وسَلْني عن كأْسِ الشّرابِ .

رستم : أوَقَدْ أحضَرتَه ؟

جاذويه : مِن أنْفس نَوْعٍ . لا يَظهَرَ مَفعولهُ إلا بعدَ أربعٍ وعشْرين ساعةً .

رستم : بعد أربعٍ وعشْرين ساعةً ؟

جاذويه : هكذا زعَم الحكيم النّسْطُوري الذي قامَ بتحْضِيرِه ، ولكنه أكّد لي أنه ساحِقٌ ماحقٌ .

رستم : لكن ألا تَرَى أن ذلك يغُضّ من قدْرِنا ولا يَليقُ بنا ؟

جاذويه : نحْن في حرْبٍ معهم .

رستم : حتّى الحرْب يا جاذويه لها آدَابٌ .

جاذويه : مع هَؤلاءِ الأجْلافِ ؟

رستم : مع أيٍّ كانَ .

جاذويه : ما خطْبك اليوم ؟ لقد اتّفقْنا عَلىَ ذلك مِنْ قبل .

رستم : هلْ يفعَلُون هم مثْلَ هذا ؟

جاذويه : نعم . ألم تَرَ إلى ذلك الذي اقتَحَم مُعَسكرنا بالنّمارِق . ما أحسَبُهُ كان يقْصِد إلا اغْتِيالكَ .

رستم : شتّانَ بينَ هذِه وتِلْك ، تلك بطُولة وفرُوسِيّة وهذه دناءَة وخِسّةٌ .

جاذويه : بحقّ فارسَ يا رُستم ، بحقّ الوَطنِ المقدّس هذه فرَصةٌ للتخلُّصِ من رأْسٍ كبيرٍ من رُؤوسهم فلا تضعها . إن كنْتَ تكرَه أن تحملَ تبعةَ ذلك فاجْعلْها عليّ .

رستم : فليَكنْ ما تُريدُ يا بهمن .

جاذويه : بُورِكْتَ يا رستم .

رستم : لكن تذكّر ما أقُولُه لكَ . إني ما كنْتُ لأقبَلَها علىَ نفْسِي لولَا أني وجدْتُ أبناءَ فارسَ قد أصبحُوا غيرَ أكفَاء لهؤلاء العرَبِ .

جاذويه : كلاّ يا رستم ، هذا قَوْلٌ لا ينْبغي أن يَجْرِيَ على لسَانِك . لأهْوَنُ عندي مِن ذَلك أن أُرِيقَ الشّرابَ علَى الأرْضِ .

رستم : (يتنهد) آه يَا جَاذويه ، لو يَنْفعُ في في عِلاَجِنَا إرَاقَةُ هذا الشّراب !

(يسمع وقع حوافر الخيل)

جاذويه : ها هُم أولاءِ قد جاءُوا . انظُرْ يا رستم! إنّه جاء وحْدَه ليْس مَعَه غيرُ عبود .

رستم : آه . ألم أُقلْ لك؟ شتّانَ ما بينَنا

وبينَهم .. استَقْبِلْه يا جاذويه .

(يخرج جاذويه ثم يعودُ ومعهُ زُهرة بن الحوية)

رستم : مرْحباً بك أيُّها الأميرُ ، وشكراً إذ لبّيْتَ الدعْوةَ .

زهرة : أنْتَ يا رسْتم قائدُ فارسَ ، فكيفَ لاَ أُلَبِّي دعْوَتك؟

رستم : إنك لتتكلم الفارِسيةَ كأحَدِ أبْنائِها .

زهرة : أعرِفُها من الصِّغَر .

رستم : تُرَى أين تعلّمتها ؟

زهرة : في مَسْقَطِ رأْسِي .

رستم : (متجاهلاً) بالمدِينة ؟

زهرة : (ضاحكاً) لا يا رسْتم هُنَالك لاَ يَعْرِفُونَها .

رستم : فأيْن ؟

زهرة : فِي هَجَر .

رستم : هذِه بجوارِنا، وكانَتْ في حِمايَتِنا ذاتَ يوم.

زهرة : يقولُ ربُّنا في كتابه العزيز : وتِلْك الأيامُ نُداوِلُها بين النَّاسِ.

رستم : إني لأعْلَم أنكم أهلُ وفاءٍ وعهْدٍ، وقد كنْتُم جيرانَنا فكنّا نحْنُ جِوارَكم، ونكف الأذى عنْكم، ونُغيثُكم إذا عضّكم جدب، ونَذُبّ عنكم اذا اعْتَدى عليكم مُغيرٌ، وقد كنتُم معنا في وِفاقٍ، فما الذي غيّركم عَلَيْنا وأغْراكم بالوُثوب على أرْضِنا؟

زهرة : إنك تَذكرُ عهْداً قد بَادَ ولا تَذْكُر العهْدَ الذي وُلِدَ مَكانَه.. تذْكُر عَهْدَ جاهِليّتِنا ولا تذكُر عهْدَ إسْلامِنا.

رستم : عَهْدُنا بالشُّعُوبِ أنها لا تُسِيءُ إلى جِيرانِها ولا تَنْسَى صداقَتَهم، مهْما اختَلفَتْ عليها العُهُود وتعاقَبَتْ عليها

الحُكّامُ. إنّ الحقُوقَ التي كانَتْ تَلزُمكم فيما مضَى لَتلزُمكم اليوم.

زهرة : ليْسَ الأمرُ يا رسْتم كما تَصوّرْتَ، فانّا لم نَسْتَبْدِلَ عَهْداً بعهْدٍ أو حاكِماً بحاكِم، ولكنا كنّا ضُلاّلاً فَهَدانا اللهُ، وكنا أعْداءً فألّفَ اللهُ بين قلُوبنا، وكنّا لا نُريد الآخِرَة ولا نعْرِفُها وإنما نريد الدنيا ولا نعْرفُ طَرِيقَها، فأرشَدَنا اللهُ الى حُسْن متاع الدنيا وحسن ثوابِ الآخِرَة. وكنّا لا نَبغي الخيرَ الا لأنفُسِنا فأصبَحَ اليوْم حَقًّا علينا أن ندْعوَ الناسَ الى الخيْرِ الذي هُدِينَا اليه.

رستم : هَذِهِ حُجّةٌ تتعَلّلون بها. أما حقيقةُ الأمرِ فإنكم تَطْمعُون فيما بأيْدِينا من الخيرْ، وتُريدُون أن تَغْلبونا عليه.

زهرة : انكم تعرفُون أوّلِيّتنا يا رستم. لقدْ

كُنّا من أذَلِّ الأمم، فهل دارَ بخَلَدِ أحدٍ قطّ أننا سُنقاتِلُ فارسَ والروم في وقتٍ واحدٍ فننتصِرَ عليهما معاً؟

رستم : انكم لم تنتصِرُوا عليْنا ولن تنتصِروا ابداً.

زهرة : فلا قُلْ بالحريِّ هل دارَ بخَلَد أحدٍ قط أننا سَنَنْبَري لِقتال فارسَ والرومِ في وقتٍ معاً، فَنَهزِمُ الرومَ وتكونُ الحربُ بعدُ سِجالاً بيننا وبين فارِسَ؟

رستم : لا ولا بخَلَد الشَّيْطانِ؟

زهرة : فهلْ كانَتْ بلادُ فارسَ فقيرةٍ فاغْتَنَتْ اليوم؟

رستم : لا.

زهرة : أوْ كانَتْ بلادُ العرب غَنِيَةً أمس فافْتقَرتْ اليوم؟

رستم : لا.

زهرة : فلا بُدّ أنّ حادِثاً جَلَلاً بدّلَ نفُوسَ

العرَبِ من حَالٍ الى حالٍ. فما ذَلك الحادِثُ الجَلَلُ؟ انّه دينُ الحقِ الذي جِئْنَا لِندعوَكم اليه لا يَرْغَبُ عنه أحدٌ إلا ذَلَّ، ولا يعْتَصِمُ به أحدٌ الا عَزّ.

رستم : هل لك أن تشرَحَ ليَ ما هَذا الدّينُ الذي تدْعُونَ إليه؟

زهرة : أما شِعَارُه فشهادةُ أن لا إلهَ إلا اللهُ، وأن محمداً رسولُ الله. وأما أساسُه فإخْراجُ العِبَادِ من عِبَادَةِ العِبَادِ إلى عبادَةِ اللهِ وحدَه، والناسُ جميعاً بنُو آدمَ وحواءَ إخوَةٌ لأب وأمٍّ.

رستم : ما أحْسَنَ هذا يا زُهرة. أرأيْتَ إن أجَبْتُ إلى هذا ومَعِي قَوْمِي كيف يَكُونُ أمرُكم، أتَرْجِعُون عنّا إلى بِلادِكم؟

زهرة : إي وَالله .

رستم : وتَتْرُكُونَنَا وشأنَنا نَصنَعُ ما نَشاء في بِلادِنا ؟

زهرة : نَعَم على شَرْط أن تُقيمُوا فيكم سُنّة الإسلامِ وشَرِيعَتَه ، فلا يستعبِدَ بعضُكم بعضاً ولا يعلو بعضكم على بعض .

رستم : لكِنّ هذا لاَ يصلُحُ في أرْضِ فارِسَ ، فإنّ أهلَها منذُ عهْدِ أزْدَشِير لم يأذَنُوا لأحدٍ من السِّفْلةِ ان يَخْرُج من عمله والا تعدى السفلة طورَهم وعادَوْا أشرافَهم . فَلِمَ لَا تتْرُكُونَنَا وما أَلِفْنَا من نِظَامٍ ؟

زهرة : ليْسَ ذلك في مُلْكِنَا يا رُسْتم ، فلا فَرْقَ في شِرْعَةِ الإسلام بين السِّفْلةَ والأشرَاف .

رستم : ألاَ تُرِيدون أن تَكْسَبُوا قلُوبَ الأشْرَاف وتَنالُوا تأْيِيدَهم ؟ فإنَّكم إذا نلْتُم تأييدَ الأشراف نِلْتم تأييد السفْلة بالتبَعِ .

زهرة : كلاّ نحن المسلمين خيرُ الناسِ للناس ، فلا نستَطِيعُ أن نكونَ كما تقولُ .

رستم : أمن أجْلِ السِّفْلةِ والعَبيدِ تخاطِرُون بكلّ شيء ؟ هذا سَفَهٌ منكم وقلّةُ رأيٍ .

زهرة : هذا ما يأمُرنا به اللهُ أن نُطيعَه في هؤلاءِ المستضعَفِين ، ولا يضُرُّنا مَن عَصَى اللهَ فينا من الأشْراف .

رستم : إذن لا تبلُغُون ما تُريدون .

زهرة : عِلْم ذلك عندَ الله ، وما علينا إلا أن نُطيعَ أمرَه .

رستم : انكم لم تَرَوْا بعدُ من بَأسِنا شيئاً ، فلا يغُرّنكم ما كانَ حين كنا في شُغُل عَنكم .

زهرة : نحن لا نجْهَلُ أنكم أقوِيَاء . ولكنا نستَعينُ بالله عليكم ونؤمِنُ أنه ناصِرُنا بحَوْلِهِ

وقوّته. اننا نَقاتِلُ للحق وللمستضعَفين، والله مع الحقّ ومع المستضعَفين.

رستم : (بعد صمت يسير) انك لتُدافِعُ عن المستضعَفين كما لو كُنْتَ منْهم، مَعَ أن الذي ينظُرُ في وجْهِكَ يَرَى فيه سِيماءَ الأشْراف. فأخبِرْني ماذا كُنْتَ؟

زهرة : كنتُ رجُلاً من العَرَب، وأنا اليومَ رجلٌ من المسلمين.

رستم : اصدُقْني.

زهرة : قد صَدقْتُك.

رستم : لعلّك تَخْشَى ان أخْبَرْتَني بأصْلِك أن أغْدُرَ بكِ، فآمُرَ بقَتْلِكَ أو حَبْسِكَ.

زهرة : يا رستم انّي لا أخافُ أحداً غيرَ الله سُبْحانه. ان كنْتَ حَريصاً على مَعْرفة أصْلي فإني كنْت من أبْناءِ مُلوك هَجَر،

فاقتلِني الآن ان شِئْتَ.

رستم : ألاَ تخافُ الموتَ؟

زهرة : أأخافُ أن أموتَ شَهيداً فأدْخلَ الجنّة؟

رستم : لكنّ قومَك سيَخْسَرُونكَ.

زهرة : لن يَخْسَرَ المسلمُون غيرَ رجُلٍ واحدٍ، ولكنّكم أنتُم الخاسِرُون.

رستم : كيف؟

زهرة : ستخْسَرُون عهْدَكم ان كان لكم عَهْدٌ، ولا يُفْلِحُ قومٌ لا عهْدَ لهم ولا ذِمّةَ، ولا يقومُ مُلكٌ على غَدْرٍ وخِيانةٍ.

رستم : اني قد أحسنْتُ الاستِماعَ اليك، فأحسِنْ الاستِماعَ اليَّ.

زهرة : قلْ ما عندَك.

رستم : اني أرَى في وجْهِك ملامِحَ فارِسية، فهل لاحَظْتَ ذلك؟

زهرة : نعم ان في بَيْتِنا عِرْقاً فارِسياً من ناحِية الأُمّهاتِ .

رستم : هذا حَرِيٌّ أن يشجّعني على أن أعرِضَ عليك ما عِنْدي .

زهرة : ما هُو ؟

رستم : انّكَ عرَضْتَ عليّ أحسَنَ ما عندك وهو الدُّخول في دِينِكم الجديدِ ؟

زهرة : أجَلْ .

رستم : واني أعْرِضُ عليك أحسَنَ ما عندي.

زهرة : ما هو ؟

رستم : سنَجْعلُك ملكاً على عَرْشِ الحِيرَة وما شِئْتَ من أرض السَّواد ، اذا انضمَمْتَ الينا في هذه الحرْبِ .

زهرة : يَحْزُنُني يا رستم أنك لم تُحْسِن الاستِماعَ الي ، والا لأدْرَكْتَ أن مثلَ هذا مستحيلٌ ، لو جئْتَني في الجاهِلية

فعَرَضْتَ عليّ أن أخُونَ قومِي في سبيل هذا المُلكِ ما قَبِلْتُ . فكيف بالإسْلام ؟

رستم : لا تغْضَب ، فقد طَلَبْتَ أنت مِنّي أن أخُونَ قَومِي فلم أغْضَبْ .

زهرة : كلاّ ما طلَبْتُ منك أن تَخُونَ قومَك.

رستم : ألم تدعني أن أترُكَ دينَ آبائِي لدِينكِ ؟

زهرة : بلَى .

رستم : فلو أجَبْتُكَ لُخنْتُ قَوْمي .

زهرة : اني لسْتُ أدْعوكَ أنت وحْدَك ، بل أدْعو قومَك معَك عَسى أن تَكونُوا من المهْتدِين .

رستم : فالخيانةُ التي عرَضْتَها عليّ أكبرُ من الخِيانةِ التي عرَضْتُها عليكَ .

زهرة : أنت لا تستطيع أن تجْهَر بدعوَتي لأنها دعوةٌ الى خِيانة ، ولكني أجْهَرُ بدعوتِكَ

ودعْوةِ قومك الى الهُدَى والخير.

رستم : أخبرتني أنك كنْتَ أميراً من أُمَراء هَجَر، فلما جاء الدّينُ الجديدُ سلَبَها منكم فاحبَبْتَ أن أعطِيَك امارةً أغْنَى وأوْسَعَ.

زهرة : كلاّ ما سلَبَها منا، ولكني نَزلْتُ عنها زُهْداً فيها لأجاهِدَ في سبيل الله فيكتُبَ لي ثوابَ المجاهدين.

رستم : تَدْري يا زُهرةٍ أنني قد أحْبَبْتُك.

زهرة : لو كنْتَ صادِقاً لدخلْتَ في دينِ الحقِّ.

رستم : ولكنّك انت لا تُحِبّني.

زهرة : كيف لا أُحبك وانا أُحِبُّ لك الخيرَ؟ قسَماً بالله لو خُيِّرتُ بين ان أُقتَلَ وتُسلِمَ انت، وبين ان أبْقَى ولا تُسلِمَ، لآثَرْتُ الأولى على الثانية.

رستم : (مداعباً) هذا أمرٌ لا سبيلَ إلى التأكدِ منه.

زهرة : (ضاحكاً) صدقْتَ. (يخلع خاتماً من يده) هلْ لَكَ أن تقبَلَ هذا هديةً منّي لك؟

رستم : شُكْراً لك. سأحفَظُه عندي تَذْكاراً منك.

زهرة : ائْذَنْ لي الساعة. (يتهيأ للنهوض)

رستم : كلاّ حتى تَذُوق عندنا شيْئاً. هاتِ ما عندك يا غلامُ.

(يدخُل الرفيل ببضعَة أقْداحٍ، فيضعُ قدحاً لزهرة ثم قدحاً لرستم ثم لجاذويه)

(يقلّب زهرة القدَحَ ويتأمّلُ فيه)

رستم : (في ارتياب) ما خَطْبُك؟

زهرة : إن كان خمْراً فإننا لا نَشْرَبُ الخمر.

رستم : (يسري عنه) كلاّ ليسَ بخَمْر. هذا

شَرَابُ رمّانٍ .

زهرة : (يرفع القدح ليشرب) باسم الله .

رستم : على رِسْلِك . (يسحب القدح من يد زهرة فيلقيه على الارض ويقدم له قدحه) خُذْ هذا . أعْطِني قدحاً آخر يا غلامُ .

زهرة : لماذا ألقيتَ بالقَدَح ؟

رستم : لقد كان غيرَ نَظِيف

زهرة : عجباً ما رأيتُ أي أذىً فيه .

رستم : لو تأملْتَه جيداً لرأيتَ آثارَ أصابع الغُلام على حوافِّهِ . إشرَبْ الآن هَنِيئاً مرِيئاً . (يتناول قدحاً آخر من الرفيل)

زهرة : يقلِّب طرْفه في وُجُوه الثلاثةِ ثم يرْفَعُ القدَحَ إلى فمِه) باسْمِ اللهِ الذي لا يَضُرّ مع اسْمِهِ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ ، وهو السّمِيعُ العليمُ .

المشهد الرابع

خيمة طليحة بن خويلد الأسدي في أطراف المعسكر .

نُوَار : ما خَطْبكَ يا طلَيْحَةُ ؟ لقد صِرْتَ تخرجُ لغارَتِكَ كلَّ ليلة دُون انقِطاعٍ .

طُلَيْحة : إنما أطيعُ أمرُ أميرِ الجيشِ يا نُوَار .

نوار : أميرُ الجيش يسْمُرُ مع أهْلِهِ أوَل الليْلِ ويَنَامُ آخِرَه ، ولا يَعنِيه أتعودُ من غارَاتِك أو لا تعودُ .

طليحة : لا حَقّ لَكِ أن تقولي هذا عن سَعدِ بن مالِك . وَالله ما طَرقْتُه في أيِّ ساعةٍ

مِنْ ساعاتِ اللّيلِ، إلا وَجدْتــهُ قائِمًا يُصَلي أو قاعِداً يقرأُ القرآنُ.

نوار : في خَيْمتهِ بِمأْمَــن من أخْطَارِ اللّيل والطريقِ والعدوِ.

طليحة : وَيْحك يـا نُوار! أتريدِينَ أن يكونَ هو مَكانِي وأكونَ أنا مكانَه؟

نوار : كلاّ، ولكنّي أودُّ لو تجعــلُ لنفسكَ راحةً تستجِمّ فيها ولو لَيلةً واحِدَةً في الجمعةِ.

طليحة : تذكّري يا ابنةَ عمّ أن أميرَ المؤمنين كتبَ إلى سَعدٍ حينَ بَعثَني إليه، أنّني بألفِ رُجلٍ.

نوار : فقد كتبَ مثْلَ ذلك عن عَمْرو بن مَعدِي كربٍ.

طليحة : لكنّ سعداً يفضّلني على عمْرو ويَثِقُ بي أكثرَ مما يَثِقُ بهِ. ومَعَ ذلك قلّما خرجْتُ

في غَارَةٍ إلا وكانَ مَعي فيها أبو ثَوْر.

نوار : لو كانَ لي مِنْك ولَدٌ يا طُلَيْحةُ لما بَالَيْتُ.

طليحة : أما زِلْتِ يا نُوار تحِنّين إلى الولد؟

نوار : كيفَ لا وأنا أحِبّك؟ إذن لوَجدْتُ فيهم عَزَاءً عَنْ أبيهم إن جَرَى له شيءٌ.

طليحة : أمّا أنا فلنْ يعزّيني عنكِ شيءٌ أبداً.

نوار : لا أصدّقك. لتجِدَنّ في فتَيَاتِ بني فقُس حينَئذٍ مِن تُنسيكَ النُّوارَ.

طليحة : هَيْهاتَ يا ابنة عَمّ. إنّكِ لا تعرِفين مقْدَار حُبّي لك.

نوار : لو كانَ لكَ ولدٌ منّي لأحببتَني أكثرَ.

طليحة : ما أحْسَبُ أنّ وراءَه زيادةً لمسْتَزِيد. واللهِ إني لأذْكُرُكِ في الغارةِ او المعْرَكةِ،

من ساعاتِ الليلِ، إلا وجدتــهُ قائماً يُصلي أو قاعِداً يقرأُ القرآنُ.

نوار : في خَيمتهِ بمأمَــن من أخطارِ الليلِ والطريقِ والعدوِ.

طليحة : ويحكِ يا نُوار! أتريدينَ أن يكونَ هو مَكاني وأكونَ أنا مكانَه؟

نوار : كلاّ، ولكنّي أودُّ لو تجعــلُ لنفسكَ راحةً تستجِمُّ فيها ولو لَيلةً واحِدةً في الجمعةِ.

طليحة : تذكّري يا ابنةَ عمّ أن أميرَ المؤمنين كتبَ إلى سَعدٍ حينَ بَعثَني إليه، أنّني بألفِ رَجُلٍ.

نوار : فقد كتبَ مثلَ ذلكَ عن عَمْرو بن مَعدِي كربٍ.

طليحة : لكنّ سعداً يفضّلني على عمْرو ويَثِقُ بي أكثرَ مما يَثِقُ بهِ. ومَعَ ذلك قلّما خرجْتُ

في غارَةٍ إلا وكانَ مَعي فيها أبو ثَوْر.

نوار : لو كانَ لي مِنْك ولدٌ يا طُلَيْحةُ لما بَالَيْتُ.

طليحة : أما زِلْتِ يا نُوار تجنّين إلى الولد؟

نوار : كيفَ لا وأنا أحِبّك؟ إذن لوجَدْتُ فيهم عَزاءً عَنْ أبيهم إن جَرَى له شيءٌ.

طليحة : أمّا أنا فلنْ يعزّيَني عنكِ شيءٌ أبداً.

نوار : لا أصدّقُك. لتجِدَنّ في فتَياتِ بني فقُس حينَئذٍ مِن تُنسيكَ النُّوارَ.

طليحة : هَيْهاتَ يا ابنة عَمّ. إنّكِ لا تعرفينَ مقْدارَ حُبّي لك.

نوار : لو كانَ لكَ ولدٌ منّي لأحببتَني أكثرَ.

طليحة : ما أحسَبُ أنّ وراءَه زيادةً لمستَزيد. واللهِ إني لأذكُرُكِ في الغارةِ او المعْرَكةِ،

فلا يقُومُ لِيَ شَيْء من شِدّة خَوْفي ألّا أَرَاكِ بعْدَ ذلك .

نوار : أوَ قَدْ ذكرتَني ليلةَ اقتحَمْتَ على رسْتمَ مُعَسكَرَه ؟

طليحة : لَوْ لم أذْكرْكِ لما نَجوْت من مُطَارِديه.

نوار : قد علِمتُ أنه لا فَائِدةَ من الحديثِ معكَ ، فأيْنَ غارَتُكم الليلةَ ؟ أقريبٌ هي أم بَعِيدٌ ؟

طليحة : إخَالُها ستكون بعِيداً ، فخُذِي ثِيَابَكِ إلى خِبَاءِ ابنَةِ عمِّكِ .

نوار : لو كانَ لي ولَدٌ لكانُوا أُنساً لي حين تغيبُ .

طليحة : خَفِّضِي عليْكِ ، فلعلّ اللهَ ادّخرَ لنا الولدَ في الجنّة إن شاءَ اللهُ .

نوار : رِفَاقُكَ آتُون إليْكَ أم أنتَ مَاضٍ إليْهم ؟

طليحة : بل هم آتُون إليّ وكأنْ قَدْ . هلْ عندكِ

شيءٌ نُقدِّمُه لهم ؟

نوار : ما عندي غيرُ القَدِيد .

طليحة : فيه بلاَغٌ .

صوت : (ينادي من الخارج) طُلَيْحة ! يا طليحة!

طليحة : هذا عَمْرُو بن مَعْدِي كَرِبٍ .

نوار : (ترتدي عباءتها) إني ماضِيَةٌ .

طليحة : في رِعَايَة الله . (تخرج النوار) ادخل يا أبا ثَوْر .

عمرو : (يدخل) ألم يحضُر الرفاق بعْد ؟

طليحة : أنت أولُ من حضَر . هل أعدَدْتَ رَجالَك ؟

عمرو : هُم على كَمالِ الأُهْبَة .

طليحة : إجلِسْ . (يجلس عمْروٌ بمشَقّة) ما خَطْبُك ؟ هل تَشْكُو وَجعاً يا أبا ثَوْر؟

عمرو : لاَ وَجع يا طليحة ، ولكن ثِقْلُ مائةٍ وعَشْرٍ .

طليحة : ما إنك لأقْوَى منّي بعد وأنا في الخامِسَة والأربَعِين .

عمرو : أنت أنشَطُ مني وأسرَعُ حركةً ، والقوةُ يا صَاحِ حَرَكةٌ . فوَاهاً على الشبابِ !

طليحة : بل احْمد الله عَلى ما أبقَى من شَبَابكَ ، فأترابُك قد لَزِمُوا العصَا من زَمَن بعيدٍ .

عمرو : الحمدُ لله على ما أنْعَمَ . واللهِ ما أدْرِي يا طُليحة كيف كنْتُ أحتَمِلُ هذا الشيْبَ الزاحفَ رُوَيداً رويداً عليّ ، لو لَمْ يَهْدِني اللهُ إلى دينهِ والجهادِ في سَبِيله والرَجاءِ فيما عنده .

طليحة : صدقتْ ، ما أهْوَنَ عيشِ الدنيا في عيشِ الآخِرة .

(يدخل مسلم بن عبد الله)

مسلم : السلامُ عليكم .

طليحة : وعليك السلامُ ، أين كنْتَ يا مسلم فإنني ما رأيتُكَ منْذُ أمْس .

مسلم : كنتُ عندَ سَلْمَانَ الفارِسي .

طليحة : تأخُذُ عنه القُرآن ؟

مسلم : نعم .

عمرو : أصبْتَ واللهِ . ذلك ما لا تجدُه عند صَاحِبِكَ . (يشير إلى طليحة) .

طليحة : (ممازحاً) ولا عنْدَكَ يا أبا ثور .

عمرو : ولا عندِي .

طليحة : تُريدُ أن تخرجَ معنا الليلةَ ؟

مسلم : إن أذِنْتَ يا سيدي .

طليحة : لا تقُلْ يا سيدي وَيْلكَ . قُلْ يا طليحة .

مسلم : معذرةً .. إن أَذِنْتَ يا طليحة .

طليحة : هل تَعرِفُ طريق الفِرَاص ؟

مسلم : نعم أعرِفُها جيداً .

طليحة : فلتكُن دليلَنا الليلةَ .

صوت : (ينادي من الخارج) يا طليحة .

عمرو : هذا عمْروُ بن أبي سلْمى .

طليحة : ادخلْ يا ابنَ أبي سلْمى . (يدخل عمرو ابن أبي سلمى) أهلاً بكَ يا عمرُو . هل أعددْتَ رجالَك ؟

ابن أبي سلمى: نعم فَهُم على أهْبَة . أين أبو مِحْجَن الثقفي ؟ ألم يحضُرْ بعد ؟

طليحة : ما سُؤْالُك عنه يا ابنَ أبي سلْمى ؟

عمرو : لعلّه أرادَ أن يُنادِمَه .

ابن أبي سلمى : مَعَاذ اللهِ ، ولكني لَقِيتُه منذُ قليلٍ فأخبَرَني أنه سَيسْبِقُني إليْكُم .

طليحة : لا يحضُر أبو مِحْجَنٍ إلا آخِرَ الناسِ .

عمرو : إن لم يحبسْه حابسٌ .

طليحة : وَيْلُ أمّه فارِساً ، لو كفّ عن مُجُونه وكأسِه .

صوت : (ينادي من الخارج) يا طُليحة .. طليحة ابن خُوَيْلِد .

ابن أبي سلمى : ها هُو ذَا قد جاءَ .

طليحة : ادْخُلْ يا أبا مِحْجن .

أبو محجن : عِمُوا مَساءً يا قومُ .

طليحة : قاتَلكَ الله ؟ قل السلامُ عليكُم .

أبو محجن : وعليكم السلامُ ورحمةُ الله ، أتدْرُون لماذا جِئْتكم الليْلةَ من أوّلِ الليّل ؟

طليحة : لعلّ اللهَ هداكَ .

أبو محجن : إن اللهَ قد هَداني من عَهْدٍ بعيدٍ ، منذ أسْلَمْتُ مع قَوْمي في الطّائف فلم

نُشْرِك بعدها ولم نرتدّ يوم ارتدّت العربُ . ولكني اشتَهَيْتُ أن أواكِلَكم وأسامِرَكم قبل أن ننْطلِقَ في سرّيّتِنا الليلةَ .

طليحة : أنت على الرّحبِ والسّعة يا أبا مِحْجن .

أبو محجن : فهل أعددْتَ لنا شيئاً يُؤكَل ؟

طليحة : نعم شَيْئاً من القدَيدِ وشيئاً من السّويق.

أبو محجن : فهل ننتَظِر أحداً بعد ؟

طليحة : لا ..

أبو محجن : فأحضِرْ ماعندك حتى يتّسع لنا بعدَه السّمر.

طليحة : حباً وكرامة . (ينهض) تعالَ يا مسلم فساعِدْني .

(يخرج طليحة ومسلم ثم يعودان بالقديد والخبزِ والسّويقِ فيأكلُون جميعاً) .

أبو محجن : (ينهض) مكانكم امضُوا في طعَامِكم (يتوجه الى الباب)

طليحة : إلى أيْن أنت ذَاهبٌ ؟

أبو محجن : سأحضِر لكم الهديةَ التي جئْتُ بها مَعِي (يخرج ثم يعودُ حامِلاً شيئاً كبيراً ملفُوفاً)

القوم : ما هذا يا أبا مِحْجن ؟

أبو محجن : إن للمَجَالِس سِرّاً فلا تُفْشُوه . لعَنَ الله من لا يحفَظُ سِرّ المجَالِس .

طليحة : ما هَذا الذي جئْتَ به ويْلَكَ ؟

أبو محجن : هذا خيرُ ما في الدّنيا والآخِرَة .

عمرو : خَمْرٌ ؟

أبو محجن : أصبْتَ يا أبا ثَوْر . لقد اهْتَدَيْتَ إلى خَيْرِ ما في الدُّنيا والآخِرَة .

طليحة : كفى سَفَهاً يا أبا مِحْجن .

أبو محجن : السَفِيه واللهِ من يأمَلُ أن يُنَادِمَكم .

طليحة : صدقْتَ . فلن تجدَ بيننا من يُنادِمُك .

أبو محجن : ويْلَكم ! أين أجِدُ من ينادِمُني إذن إن لم أجِدْه بَيْنَكم ؟ أنتم بين مُتنبِّيءٍ ومُرْتَدٍّ ومؤَلَّف . أفانادمُ سعْداً وسلْمانُ ؟

طليحة : نادِمْ الشيْطانَ .

أبو محجن : وَيْلُ أمه نَدِيماً لو يَتشَكّل لِيَ ويُقارِعُني الكأْسَ ! ولكني لا أرَى وجْهَه ولا أسمعُ حسّه فكأنما أنادِمُ نفسي .

طليحة فاشْرَبْها وحدَك واسْتَتِرْ ، ولا تُشْهِد الناسَ على خطيئتك .

أبو محجن : يا كاهِنَ بني أسَدٍ ألم تكُن صاحبَ شُرابٍ في جاهِليتك ؟

طليحة : بلَى .

أبو محجن : أفقَد أنْسِيتَ ـ وما بالعَهْد من قِدَمٍ ـ أن الشرَابَ بلاَ نديمٍ لا لذّةَ له ولا رونَقَ ؟ فما ذنبُ هؤلاءِ حتى تمنَعَهم

منها ؟ أأنتَ عليهم مُسَيْطِر ؟

طليحة : ويْلكْ لسْتُ أنا الذي يمنَعُهم ، إنما يمنعُهم دينُهم .

أبو محجن : الآن أنصفْتَني . يا قومُ إنما هي ليلةٌ وهذه فرصةٌ لا يجودُ بمثلِها الزمانُ . (يفتح سداد الباطية ويفرغُ منها في قدح) باطيةٌ من خمرِ بابلَ ! معتّقة من عهْد هارُوتَ ومارُوت ! أين تجدون مثلَها إلا في الجنّة !

عمرو : أرِني ويْلِكَ . (يأخذ القدح فينظر فيه)

أبو محجن : هذا أبو ثَوْر قد حنّ .

عمرو : (يدني القدح من أنفه) والله ما صافَحَ خيَاشِيمِي مثْلَ هذا الشّميم قطّ .

طليحة : اتّقِ الله يا أبا ثَوْر ، واذْكر أنك تُجاهِدُ في سبيل اللهِ .

أبو محجن : وأنا أيضاً أجاهد في سَبيل اللهِ ، ذُقها الليلةَ وتُبْ غداً .

طليحة : واللهِ لا يذُوقُها منكم أحدٌ فيخرجُ معي في السّرية .

أبو محجن : لِمَه ؟

طليحة : لا أقبل ان يُقاتِل معي مخْمورٌ .

أبو محجن : أيّ بأسٍ في ذلك ؟ كلّ ابن أُنثى يعلَم أنها تُورِثُ الشجاعةَ والإقْدامَ .

طليحة : ويْلَك ! إننا لا نُقاتِل بَطَراً ولا رِياءً ولا بغْياً كما كُنّا نفعلُ في الجاهلية ، وإنما نقاتلُ لتكونَ كلمةُ اللهِ هي العُليا ، فما يَضْمَنُ لنا إن خرجْتَ معنا مخموراً ألا ترْتَكِب بغْياً أو عُدْوَاناً يُفسِد علينا الجهادَ ؟

أبو محجن : تعنْي النّساءَ ؟

طليحة : النساءَ وغيرَ النساء . إنّ من لا عقلَ

له لا دِينَ له .

عمرو : (يعيد القدح إلى أبي محجن) خُذْها يا أَبَا مِحْجن ، لا أَرَبَ لي فيما حرّمه اللهُ .

ابو محجن : تَبّاً لكَ يا ابن خُوَيلد ، لقد أفسدْتَ عليّ أفسدَ اللهُ عليك . وتباً لكم جميعاً ، واللهِ لأشْرَبَنّها أمامَكم وأنتم تنظُرون .

طليحة : (يأخذ بالقدح) علَى رِسْلك يا ابا محجن أَصْغِ إلي . إما ان تَخْرجَ معنا ولا تشرَبَ ، وإما ان تشربَ ولا تخرجَ ؛ فاختَرْ ما يحلُو لك .

ابو محجن : لأشرَبَنّ ولأخرُجَنّ .

طليحة : قد جَعَلْتَ لنا سَبِيلاً على نفسِك . (يريق القدح ثم يخطف الباطية فيحطمها على الأرض)

ابو محجن : (يستَشِيطُ غضَباً) اوَقد فعلْتَها يا كاهِنَ بني أَسد؟ والله لأُحطّمَنّ رأْسَك ولأُرِيقَنّ

دَمك . (يهم بالانقضاض على طليحة فيحتضنه عمرو بن مَعْدِي كَرِبٍ بين ذِرَاعيه فلا يَسْتطِيعُ حِرَاكاً) دَعْني يا ابا ثَوْرٍ دعْني .

عمرو : يا فُوَيْسِقَ ثَقِيف . أتظُنُّ نفسَك عِدْلاً لطُلَيحة ؟

ابو محجن : ارْسِلْني لِتَرَى .

عمرو : ويْلكَ إني لا أحْمِيه منْك بل أحميك أنت منه. ويْلكَ اين يُذْهَبُ بكَ ؟ الا تعْلَم أن للجيش اميراً يقال له سَعْدُ بن مَالِك، وان للمؤْمنين أميراً يقالُ له عُمرُ بن الخطاب ؟

ابو محجن : قُبْحاً لكم اتُرِيدون ان تستَعْدُوا سعداً عليَّ ؟ أليس للمجالِسِ عندكم حُرْمةٌ ؟

طليحة : كلاَّ لن نَستعْدِيَ عليك سعْداً ولا غيرَ سعد ، ولن يعلمَ بما جَرَى الليلةَ بيننا احدٌ .

ابو محجن : أحقا ؟

طليحة : نعم . واللهِ يا ابا محجن لوَدِدْتُ لو تَرَكْتُ لك باطِيَتكَ لولا حِرْصي ان تكونَ معنا الليلة في السريّة ، فهَبْ لي يا اخي ما فعلْتُ .

ابو محجن : (في رِضاً) قد فعلْتُ يا طليحة . ولكن إيّاك ان تعودَ لمثْلِها .

طليحة : إلا إذا عُدْتَ انت .

المشهد الخامس

(يُرفع الستار عن سعد وعنده خالد بن عُرْفُطة وعبود رسولُ رستم)

سعد : أقْرِىء رُسْتمَ مني السلامَ يا عبُّود. وقلْ له إنّي سأجيبُه إلى ما طَلَبَ، لعل اللهَ يَهْدِيهِ إلى سبيلِ الحق فيَهدِي قومَه كذَلك .

عبود : سأفعلُ يا أميرَ الجيش .

سعد : خذه معَك يا خالدُ وأوصِلْه إلى مأْمَنه.

(يخرج خالد ومعه عبود)

سلمى : (تدخل من الخباء الثاني) أوقد خَرَجُوا؟

سعد : نعم .. من ذا عندكِ يا سلْمى ؟

سلمى : شِيرين وزوجُها المُعَنّى بن حارثة .

سعد : (في ارتياب) أكانَا يعلَمَان أن رسولَ رُسْتمَ عندي ؟

سلمى : لسْتُ أدْرِي .

سعد : فماذا يُرِيدَان ؟

سلمى : لعلهما يُرِيدَان الزيارةَ .

سعد : في مِثْلِ هذه الساعةِ من النَّهار ؟

سلمى : ويْحَكَ يا سعْد : لقد كانَا يزُورَانِنا في كل وقت ، فما كنْتَ تسألُ عن سبَبٍ ولا عِلّةٍ !

سعد : عندي اليوم شُغْلٌ كثيرٌ .

سلمى : أَي شُغْل ؟

سعد : هذا الطلبُ الذي بعَثَ به رُسْتم .

سلمى : قد سمعْتُك تكِلُ أمرَه إلى سلْمانَ .

سعد : أَجلْ ، وسيعودُ سلْمان ليُطالعَني بالرأي

الذي انْتَهى إليه .

سلمى : الحق يا سعْد أنك صِرْتَ تكرَه لقاءَهما منذُ اعترَتْكَ الظنونُ في شِيرين . ويُخيّلُ إلي أن المُعنّى قد بَدَأَ يحُسُّ بذلك .

سعد : دَعِي عنك أوْهامَكِ . أتدْخلُون أم أدْخل إليكم ؟

سلمى : بَلْ ندْخلُ عندك . (تخرج ثم تعود ومعها المعنى وشيرين)

سعد : (يُصافِحُهُما مرحّباً) مرحباً بالأهْلِ والصِّهر . لا تُؤاخِذُوني إن شُغِلْتُ عنكم .

المعنى : إنا لنعْرِف عُذْرَك يا سعْد ، ولوَدِدْنا لو نستطِيعُ أن نساعِدَك فيما بين يديك .

سعد : جزاكُما اللهُ خيراً . ما تُقدّمَا مِن خيْرٍ

في سَبيل اللهِ فإنّ الله به عَليمٌ .

المعنى : لقدْ حاولتُ واللهِ جَهْدي أن أكتَشِفَ لكَ ذلك الجاسُوسَ الذي يُكاتِب العدُوَّ بأخبارِ المسلمين ، واستَعنْتُ بشيرين عَسَى أن تَهْتدِيَ إليه بما تُتقِنُ من لُغةِ قومها ، ولكنّا حتى الآن لم نصِل إلى يَقِين تطْمئِنّ به النفسُ .

سعد : فهل ارتَبْتما في أحد ؟

المعنى : إن كان لنا أن نرْتَابَ في أحدٍ ، ففي ذلك الفارِسِ الذي أسَرَه طُليحة ابن خُويلد فأسلَم .

سعد : مسلم بن عبد الله ؟ هذا لا يُفارِقُ طليحة لَيلاً ولا نَهاراً ويَخرج معه في سَراياه .

المعنى : اللهُ المطّلِع على السّرائر .

سعد : ماذا جعلَكُما تَرْتابان فيه ؟

المعنى : الطريقَة التي استأْسَر بها لطليحة . فقد كان في وُسْعِه لو أرَادَ النجاةَ أن يُوَلي فِرَاراً ، وما كان طليحـــة ليَطّـرِدَ في أَثَره .

سعد : لعلّه ما اسْتَأْسَر إلا حين قذَفَ اللهُ في قلبِه الإيمانَ . يا أَخِي إن اللهَ إذا أراد أن يَهْدِيَ أمرَاً يسّر له ذلك مِن حيْثُ لا يحْتَسِبُ .

شيرين : صدقْتَ يا سعد . لعلنا ظلَمْناه حـــين اتّهمْناه واللهُ وحده يعلم حقيقةَ الأمرِ . ولكن ينبغِي على ذلـــك أن تأْخذُوا حِذْرَكم منه وتراقِبوه من حيثُ لا يشعُر ، إلى أن يكشِفَ اللهُ جَليّةَ أمرِه .

سلمى : هذا رأيٌ وجيهٌ يا سعد ، فالاحْتِيَاط لا بُدّ منه .

شيرين : وحبّذَا لو تَتّبِعون مثلَ هذا السبيلَ مع

رَافع وعَشَنّق وضَخْم وقُباذَ ، وغيرِهم من مُسلمة الفرس .

سعد : أتُريدين يا شيرين أن نَتّهم كلَّ من أسلَمَ من قومِك ؟

شيرين : واللهِ إن ذلك ليَحزُنُني يا سعدُ ولكن ما حِيلَتي ؟ لا بُـــدَّ أن يكونَ الجاسوسُ أحدَ هؤلاء وإن تعذّر تعْيينُه .

المعنى : والله يا سعد لأمضِيَن في التنقِيبِ عنه ، ولا يُقَرُّ لي قَرارٌ حتى أهتدِيَ إليه .

شيرين : (تفتح سفطاً في يدها) وهذا العُقْـــد اللؤْلؤْ أتذكُرُه يا سعدُ ؟

المعنى : العقْد الذي جئْتُ به من المدَائِنِ هدِيّةً لها من بُوران .

سعد : نعم .. ما بَالهُ ؟

شيرين : لقد أقسَمْتُ لأردَّنه إلى مَلِكَتهم .

سلمى : فيمَ يا شيرين ؟

شيرين : لا أُريدُ أن يَربطَني بهؤلاء القومِ أيُّ سبَبٍ .

سلمى : لكن هذه هديةٌ قد استأذنتُمَا أميرَ الجيشِ في قبُولها فأَذِن ، واحترتِه عندك من أَمدٍ بعيد فما عَدَا ممّا بدَا ؟

شيرين : ما كان بيننَا جاسوسٌ يكاتِبهُم إذْ ذَاكَ .

سلمى : وما شأنُ هذا العقْدِ بالجاسوس ؟

شيرين : لا أستطيعُ أن أحمِلَه في عُنقي بعدَ اليوم . خُذْه يا سعد وأرْسِلْه مع أي رسُولٍ إلى رسْتم ليعيدَه إلى بوران .

سعد : إني لستُ أرَى ما يدْعُو إلى ذلك يا شيرين .

شيرين : (بلهجة جازمة) إن لم تَشأْ أن تُرسلَه إلى رستم ، فأبْقِهِ عندَك .

سعد : ماذا أَصنَعُ به ؟

شيرين : اصنَعْ به ما شِئْتَ .

سعد : طِيبِي نفساً يا شيرين ، فلأرسِلَنّه إلى رسْتم كما أرْدتِ .

شيرين : جُزِيتَ خيْراً يا سعدُ . الآن أثلجْتَ صدري.

سعد : ولأهدِيَن زوجَك هديةً أنفَسَ وأثمنَ .

شيرين : ما هِي يا سعدُ ؟

سعد : الشَّموسُ

الثلاثة : (في صوت واحد) الشَّمُوس ؟

المعنى : لكن هذه لك أنت يا أميرَ الجيش

سعد : واللهِ إنك لأحقّ بها مِنّي ، ولا يصْلُحُ لها إلا أنت .

المعنى : لكن أخي المثَنَّى أوصى بِهَا لكَ .

سعد : فهِيَ لي مِن المثَنّى وصِيّةٌ ، وهي لك مني هديةٌ .

شيرين : (فرحة) جُزِيتَ الخير يا سَعْد . والله لقد قلَّدْتَنا مِنَّةً لا ننْسَاها أبدَ الدهْر .

أرأيْتَ يا مُعنّى كيف عوّضنا اللهُ عن عُقْدِ بوران ما هُو خيرٌ منه ألفَ مَرةٍ؟

المعنى : صدقْتِ يا شيرين. إن لسعدٍ علينا لفضْلاً كبيراً.

سعد : بل فضلُكم يا آلَ المثنى عليّ وعلى المسلمين أجزَلُ وأكبرُ.

صوت : (ينادي من الخارج) يا سعدُ بن مالِك.

سعد : هذا صوتُ سَلْمان، ادخُلي بهما يا سَلْمى إلى خِبائِك. ادخُلْ يا سلْمان.

سلمى : هلُم.

سعد : لا تنسَ يا مُعنّى أن تأخذَ الشَّمُوسَ معك.

(تخرج سلْمى والمعنى وشيرين)

(يدخل سلْمانُ ومعه الرفيل)

سلمان : السلامُ عليك يا سعدُ.

سعد : وعليكم السلامُ. أهذا مُسلِمٌ جديدٌ يا

سلمان؟

سلمان : بل هذا الذي أسْلَمَ على يديه المسلمُون الجدُدُ. هذا الّذي بشّر بالإسلام في مُعَسْكَرِ رسْتم؟

سعد : الرفيل. حَاجِبُ رسْتم؟

سلمان : أَجلْ.. الرفيل... بنُ عبد الله.

سعد : (يقبِّلُ رأسَ الرفيل) مرحَباً بك بين إخْوانِك المسلِمين.

سلمان : لقد كان يُريدُ البَقاءَ هُناكَ ليُواصِلَ دعْوَته سِرًّا في الخدَمِ والعبيدِ.

سعد : اَجلْ لو بَقِي هُناكَ كان أفْضَلَ.

سلمان : لو بَقِي هناك لقَتلَه رسْتم، فقد عَلِم بأمْرِهِ فنَذَرَ دَمَه.

سعد : فالحمدُ لله إذْ نَجَا.

أصوات : (تنادي من الخارج) رفيل.. رفيل.

سعد : مَا هَذا؟

سلمان : (ينظر من الكوّة) هؤلاءِ إخوانُنا من مُسْلِمَة الفرس قد جاؤُوا ليُرَحبُوا بالرفيل. ويْحَهم أَلا ينتظرُون حتى يستَقْبلوه عنْدِي حين أَعود ؟

سعد : دعْهُم يدخلُوا يا سلمان . (بصوت عال) ادْخُلُوا يا قومُ ادخلوا .

(يدخل مسلم ورافع وعشنق وضخم وقباذ فيعتنقون الرفيل ويُوسِعُونه لثْماً وتقْبيلاً في شَوْق)

سلمان : (في بَرَمٍ مَشُوبٍ بعطفٍ) ويْلَكم ألا تُسلِّمون أوّلاً وتحيُّون أميرَ الجيش ؟

سعد : دعْهُم يا سلمانُ دعْهم . (ينظر اليهم في مودَّة وعطْفٍ)

مسلم : لا تُؤَاخِذْنَا يا أميرَ الجيش، فإنا لا نَمْلكُ أن نَطِيرَ فرحاً حينَ نَلْقى أخاً لنا قد دَخل الإسلامَ .

سعد : لا تثْريبَ عليكم ! هكَذا كنْتُا في أولِ الإسْلاَم حين كانَ عَددُ المسلمين قليلاً في مَكَّةَ .

سلمان : إنكم تريدون أن تتحَدّثوا طويلاً إلى أَخيكم الرفيل، فخُذُوه إلى خيْمَتي أو خَيْمَة أحدِكم وانتظِرُوني حتى أَلْحَقَ بكم .

مسلم : سمعاً وطاعةً ، هيّا بنا يا قومُ . (يحيي سعداً ويخرج ويحذو الآخرُون حذْوَه ويخرجون)

سلمان : (يرفع يديه إلى السماء) اللّهُم اهْدِ أهلَ فارسَ وَضِيعَهم وَرَفِيعَهم إلى دِينِكَ ، حتى يَكونُوا جميعاً مثلَ مُسلم وقُباذ وضخم وعشنّق ورافع والرفيل .

سعد : آمين يا رَبَّ العالَمين .

سلمان : أبشِر يا سعدُ ، فقد اخترْتُ بتوفيقِ

اللهِ ثلاثةَ رِجال كهمّك .

سعد : من هم ؟

سلمان : رِبْعي بن عامر ، وحُذَيفةَ بن مُحصَن ، والمغِيرَةَ بن شُعْبة .

سعد : أكلهُم يعرفُ لُغةَ فارِسَ ؟

سلمان : نعم .

سعد : عجباً ما كنْتُ أعلمُ أن المُغِيرَةَ يعرِفُها .

سلمان : إنه أقلُّ الثلاثةِ بصَراً بها ، ولكنه أدْهاهُم . لنَرْمِيَنّ رسْتُم منه بِبَاقِعَةٍ .

سعد : صدقْتَ يا أبا عبد الله .

سلمان : وقدْ عنَّ لي ألا تبعثَهم مُجْتَمِعين بل واحِداً بعْدَ واحدٍ ، ليكونَ أوقعَ في نفُوس القوْم حين يشهدُون وُجوهاً مختلِفة تَتبَايَنُ في سُلوكِها وأسْلُوبِ حَديثها ، ونتّفِقُ في صَمِيم دعْوَتِها لا تحيدُ عنها قَيْدَ أنْمُلةٍ .

سعد : (طَرِباً) بُوركت يا أبا عبد الله ، هذا واللهِ الرأيُ . للهِ درُّ ابن الخطاب إذ اختارَكَ رائدَ المسلمين وداعِيةَ أهل فارس ، فنِعْم الرائدُ أنت ونِعْم الداعِيةُ .

سلمان : هلْ تأذَنُ لي فألحقَ بجماعَتِي ؟

سعد : ما زالَ عندِي كلامٌ كثيرٌ لكَ .

سلمان : غداً إن شاءَ الله أغدُو إليك مِنْ أولِ الصَّباحِ .

سعد : مُصاحِباً يا أبا عبد الله .

(يخرج سلمان)

المشهد السادس

سرادق كبير مفروش بالبُسط الفاخرة .

يُرى رستم جالساً على سرير من ذهب وحوله على الأرائك قواده وكبار رجاله، فيهم بهمن جاذويه والجالينوس والفيرزان، والهرمزان وبُزُرْجمهر .

رستم : (يتكلم في حماسة) أستحلفُكم يا قومُ ألا تَرَوْن ما أرَى؟ ألا تجدُون في هؤلاءِ أمراً غريباً لا عهدَ لنا بمثلهِ من قبل؟

بُزُرْجمهر : صدقْتَ يا رستمُ؟ ما رأينا مثلَ هذا ولا سمعْنا بمثْله ولا قرأناه فيما قرأْنا من تاريخِ الشّعوبِ .

الفيرُزَان : (في سُخْرية) مَجِّدُهم أنت أيضاً يا بُزُرْجمهر ! ألِّفْ كِتاباً في مَناقِبهم

لعل ملكَهم الذي اسمه عمرُ يُجيزُك عليه !

بزرجمهر : دعْني أذكّركَ بما قالَه الحُكَماءُ قبلي .

الفيرزان : ماذا قالُوا ؟

بزرجمهر : ان الذي يسْخَرُ في غير موْضع السُّخرِيَة، إنما يسْخَرُ من نفسه .

الفيرزان : ما أهْوَنَ الحكمةَ وأضْيعَها في لسان من يتَزلَّفُ بها إلى الزعَماءِ والرؤساءِ .

بزرجمهر : وما أشْقَى الحكيمُ حين يُجَادلُه مَنْ لا يُشَاكِلُه .

الفيرزان : أأنْتَ تعُدُّ نفسَكَ حكِيماً ؟ فوارَحْمتاه إذن للحُكَماءِ .

رستم : على رِسْلِك يا بُزُرجمهر . دَعْني أشرَح للفيرزان ما كُنْتُ أُريد . ألَم تشْهَدْ يا فيرزَان مجْلِسَ أمْس ومجْلِسَ أوّلَ من أمْسِ ؟

الفيرزان : بلَى .

رستم : سمعْتَ ما قال العرَبيّان ؟

الفيرزان : نعم.

رستم : ألمْ يَدْهَشْك ما سمِعْتَ ؟

الفيرزان : كلامٌ واحدٌ مكرّر يُردّدُونه كالببّغاء.

رستم : قد فاتَكَ إذن شيءٌ هامٌّ، وما كان ينبَغِي أن يفُوتَكَ.

الفيرزان : ما هُو ؟

رستم : إن لِكلٍّ منهُما أُسْلُوباً يختلِفُ عن أسلُوب صاحِبِه، مَعَ اتّفاقِهما في المعْنى الذي يقصُدَان. بل إنهمَا ليتَبايَنان في كلّ شيْءٍ في القامَةِ والسِّحْنة والحركة والمِشْية والإيماءَةِ والنظْرةِ والسَّمْت.

الفيرزان : هكَذَا هُم منْذ كَانُوا لا يجمَعُهم نظامٌ ولا زِيٌّ ولا طابَع.

رستم : ذلك سِرٌ عجَبي من اتّفاقِهم في كُنْهِ الدعْوة التي إليها يدْعُون.

الفيرزان : وما تَقُولُ فيمَا فعَلاَه أمامَنَا ؟ أأعْجَبَك أيضاً سُلوكُهما الهَمَجِيّ ؟

رستم : لا غَرْوَ أن تحْسَبَه هَمَجيـاً إذْ فاتَك المعْنى الذي يَنْطوي عليْه.

الفيرزان : علاَمَ ينْطَوي إلا على الوقَاحة وسُوءِ الأدَبِ وقِلّة الذّوْقِ ؟

رستم : أعْمِل ذِهْنَك قَليلاً يا فيرزَان، وحاوِلْ أن تفْهَم.

الفيرزان : يا قومُ أنْصِفُوني مِن هَذا الذي يُضْفِي على هؤلاءِ الهَمَجَ ما ليْسَ فيهم. ألم تَروا أحَدُهما كيف رَبَط فرَسَه على مَدْخل الإيوان، ثم جلَسَ على الأرض ورَكَزَ رُمْحَه في البِسَاطِ ؟

رستم : أخبرُوه يا قوْم ماذا قصَد مِن ذلك ؟

الفيرزان : جِلفٌ أرادَ أن يَتحَدَّاكَ في سُلْطانِك، وقد فعَل.

رستم : إنّي أعِيذُكم يا قومُ ألا يكونَ بينكم مَن يُدْرِك أكثرَ من ذلك.

بزرجمهر : رَآنا نُعظِّم هذه البُسُطَ والأرائِكَ

والرِّياش ، فأرادَ أن يُرِيَنا أن هِمتَهم فوقَ ذَلك .

رستم : أحسَنْتَ يا بُزُرجمهر .

جاذويه : وأرَاد كذلك أن يُشعِرَنا بأنه غلَبنَا على أرْضنَا ، إذْ جلَسَ عليها دُونَنَا .

رستم : أحسنْتَ يا جاذويه .

الفيرزان : والجِلفُ الثاني دَخل راكِباً حتى وقَفَ أمَامَك وأمرْتَه أن يَنزِل فأبىَ ، ما تقُولُ فيه ؟

رستم : ألم تفْهَم ماذا قصَدَ ؟

الفيرزان : ماذا قصَد إلا أنه أهَانَك وأهانَنَا جميعاً معَكَ .

رستم : كلاّ يا فيرزان ، أرادَ أن يُشْعِرَنا بأنه هُو في يُمْنِ الطّائِر يقومُ على أرْضِنا دُونَنا .

الفيرزان : خَبِّرني يا رستم ؛ أفَهِمْتَ ذلك سَاعةَ وقَعَ أم فهِمْتَه الآن فقَطْ ؟

رستم : بلْ سَاعةَ وقَع .

الفيرزان : فكيف تركْتَهُما دُون أن تُعَاقِبَهما علىَ ذَلك ؟

رستم : ويْحَك ! أتُرِيدنا أن نُفقِدَ حُلُومَنا ؟ فذلك ما يبْغِيه أمِيرُهم سعدٌ ومِن ورَائه عمرُ .

الفيرزان : فلقدْ بلَّغتَ سعداً وعمَر ما يُريدان بتَثَاقُلِك عن الحرب وتردّدِك بين الإقْدَام والإحجَام ، حتى توَقّحَ علينا هؤلاءِ الأجْلافُ .

الهرمزان : (ينظر إلى الفيرزان كالمؤيد له) والثالثُ الذي هُوَ آتٍ إلينَا اليوْمَ ، تُرَى ماذا هُوَ فاعِلٌ ؟

الفيرزان : (متشجعاً) ألاَ يستطيعُ أحدٌ أن يتكهَّنَ ماذا هو فَاعلٌ ؟ فكِّرُوا من الآن حتى لا تُتَّهمُوا بالغَباوَةِ وسُوءِ الفهْم . (يدخل أحد الحجاب) .

الحاجب : رسُولُ العربِ يا مولاي قدْ حَضَر .

رستم : دعُوه يدخل . (يخرج الحاجب) انظُرُوا يا قَوْم أطلَلْنَا اليوم مَسَافَة البُسُط التي يقْطَعُها إلينا حتى نَتَمكَّنَ من تأمُّله وهو يَمْشِي عليْها . إنكَ لا تستطيعُ أن تهْزِمَ عدُوكَ إلا إذا عَرَفْتَ سِرّ قوّته، فانظُروا وتأملُوا وتبصّرُوا . (يدخل كثير من الخدم والأتباع متَسلِّلين ، حيثُ ينبثّون في جَوانب السُّرَادَق)

(تتوجه أبصارُ الجميع جِهَة المدْخل ، ثم يظهَر المغِيرَةُ بن شُعْبة ماشِياً في خُطىً ثابتةً دون أن يلْتفِتَ يَمْنةً أو يسرَةً ، حتى إذ دنَا من كُرسيّ رستم اعترَضَه أحدُ الجلاَوِزَة) .

الجلْوَاز : قِفْ هُنا عندكَ .

المغيرة : أنت رسْتم ؟

الجلواز : (مستعظماً) لاَ .. ذَاكَ رسْتُم .

المغيرة : (بلهْجةٍ آمرَةٍ) تنَحَّ إذن عن طريقي (محييا) عِمْ صبَاحاً يا رسْتم . (يثِب نحو رسْتم فإذا هو جالسٌ بجنْب رسْتمَ على سريرِه ، يدْهَش الجميعُ ويُرَاعُ الحرَس فينقضّون عليه وينزِلونه من السرير في غِلْظة) أَلِهذا دعْوتَنا يا رسْتم ؟

الحرَسي : أيّها العربي ، كيف تريدُ أن تجلسَ على سَرير رسْتمَ ؟

المغيرة : ليُحادِثَني وأحادِثَه .

الحرس : ما ينْبغِي لأحدٍ أن يجلسَ على سَرير رُسْتمَ . اجلِسْ هُنَا على هذا المقْعدِ .

المغيرة : كلاّ لا أجلِسُ إلا حيثُ أُريدُ . (يدير بصره في وجوه الحاضرين) يا أهلَ فارسَ كانَتْ تبلغُنا عنْكم الأحْلاَمُ ، ولاَ أرَى قوماً أسْفَهَ اليوم مِنْكم . إنا معْشرَ العَربِ لا يستعْبد بعضُنا بعضاً ، فظننتُ

أنكم تتواسَوْن فيمَا بينَكم كما نتواسى. وكان أحسنَ من الذي صنعتُم أن تخبِرُوني أن بعضَكم أربَابُ بعضٍ، إذن لتركْتُكم وما ارتَضَيْتُم لأنفسِكم من الذلِّ. وأنا لم آتِكم ولكِنْ دَعوْتُموني. اليوم عَلِمتُ أن أمرَكم مُضْمَحِلٌّ، وأنكم مغْلُوبون، وأنّ مُلْكاً لا يقُومُ علىَ هَذه السِّيرةِ ولا علىَ هَذه العقُولِ. (همهمةُ سَخَط في صفُوف العِلْيَة، وهمهَمةُ استِحْسَان من صفُوف الخدم والسِّفْلة)

رستم : هذا فِعْلُ الحرَسِ وليسَ من فِعلْنَا.

المغيرة : أنتم الذين نَصّبتُم هؤلاءِ الحرَس ليُذِلّوا الناسَ لكُم، وكان عليْكم أن تُنبّهُوهُم من قبلُ أن يتركُوني وشأْنِي فإنِي لستُ عبداً من عَبِيدِكم، إذن لما سمِعتُم مِنّي ما يحْرُجكم أمامَ هؤُلاَء المستَضْعفين من قوْمِكم.

رستم : هَلُم اجلِسْ بجنْبِي على السَّرير، لتعْلم أن ما قُلْتَه عنّا غيرُ صَحيحٍ.

المغيرة : (يجلس على سرير رستم) يَسرُّني يا أهلَ فارِسَ أن قائِدَكم رستمَ قد فَاءَ إلى الحقّ مَعِي، وأرْجُو أن يَفِيءَ إلى الحقّ معَكم!

رستم : دَعْ عنكَ هذا يا عَربيُّ. إننا لم نَزلْ مُتمكِّنين في البلادِ، ظَاهِرين على الأعداء، أشرَافاً في الأممَ، ليْسَ لأحدٍ مثلَ عِزّنا وسُلْطاننا. أما أنتُم فلم يكُنْ في الأمم أمةٌ أصغَرُ عندنا شأناً منكم، وكنتم تقصِدُوننا إذا قَحطتْ بلادُكم فنأمرُ لكم بشَيْءٍ من التمرْ والشّعِير ثم نَردّكُم.

المغيرة : كلّ ما قلتَه حقٌّ. ولكنْ ذلِك كان فيمَا مَضَى، قبْلَ أن يبعَثَ اللهُ فينا هذا الرسُولَ بالحقّ والهُدَى، لنقُومَ

بنشرِهما على العالم كُلِّه. والدنيا كما تعلَمُ دُولٌ، ولم يَزلْ أهلُ الشَّدائِد يتوَقّعُون الرَخاءَ حتى يصِيرُوا إليْه، ولم يَزلْ أهلُ الرَّخاءِ يتوَقّعُون الشّدائِدَ حتى تَنزِلَ بهم.

رستم : وَيْلَكم أتريدُون أن تَملِكُوا جميعَ العالَم؟

المغيرة : كلاّ، ولكِنّ علينا حقاً أن نخرجَ الناسَ من عِبادَةِ أشرافِهم ورُؤَسائِهم ومُلوكِهم، إلى عبادةِ الله وحْدَه في كلِّ مكان مكانٍ يسُوقُنا اللهُ إليْه.

رستم : إنني لأحسَبُ ما حَملَكم على ما صنَعْتُم إلا الجُهْدُ والقَحْطُ في بلادِكم كَدأبِكم فيما سَلَف، فماذَا ترونَ لَوْ أعنَّاكُم بما يعُوزُكم من الطعامِ والميرَةِ، وتنْصَرِفُون عنا فإنّي لستُ أشتَهي أن أقتلَكُم.

المغيرة : يا رُستم عن أيِّ جَهْدٍ تتحدّثُ اليومَ؟ ألا تعلَم أننا اسْتَوْلَينا على مُعظم بلادِ

سُوريّة حتى اضطرَرْنا هرقلَ إلى الفِرارِ بنفسِه إلى عاصمتِه؟ أما تعلَم يا رستم أن أميرَنا أميرُ المؤمنين عمرُ بن الخطّاب كان يُمِدّنا بالغَنَم والجزُرِ والميرَة طوالَ مَسيرِنا من المَدينَة إلى القادِسيَّة؟ وأنه يعلَم كلّ صغيرَةٍ وكَبيرَة عنّا وعنكم، وأنه يشارِكُنا بالرأْي والنصيحةِ من مَقامِه بالمدينة فكأنّه حاضرٌ لدَيْنا. أفهذا يا رُستم فعلُ مَنْ أضرَّ به الجهدُ ليردَّه القليلُ مِمّا عِندَكُم؟

رستم : لعلّكم تُريدُون أن تَضُمُّوا إليْكم هذا الجزْءَ من السَّوادِ الذي يَقطُنه قبائلُ من بَني جِنْسِكم من النَّمرِ وتغلِبَ وإيادَ، فإن كانَ ذلك ما تطلُبون فسنتفاوَضُ في هذا الأمرِ لعلّنا نتفِقُ على حلٍّ يُرضِينا ويُرضِيكم.

المغيرة : يا رستمَ ينبغِي أن تعلَم أنّ نبيَّنا لم يُبعثْ

للعرب خاصّةً ، بل بُعِثَ للناس عامةً ، وأن ديننا لخيرُ البشر أجمعين ، ولا فضلَ فيه لعربي على عجَمي ولا لأحمرَ على أسودَ إلا بالتّقوى . فليس هؤلاءِ العربُ المقيمونَ في هذه الناحيةِ بأكرَم علينا منكم إن اهتديتم إلى الحقّ . وإنك لتعلمُ يا رستم أن هؤلاءِ العربَ قد قاتلونا في سبيلِكم بأشدّ مما قاتلتمونا أنتم ، فقاتلناهم بأشدّ ممّا قاتلناكم وأنّ قليلاً منهم رغب أن يقاتل معنا فقبلنا ذلك منهم ، لعلهم يهتدون لما اهتدينا إليه.

رستم : إذنْ فماذا تُريدون ؟

المغيرة : اختاروا إحدى ثلاثٍ : الإسلامَ أو الجزيَة أو القتالَ .

رستم : إني لأعجَبُ من ذكركم الجزيَة . إن الجزية إنما يدفعُها الأضعفُ للأقوى، فكيف تطمَعون في ذلك ؟

المغيرة : نحن الأقوى باللهِ وبالحقّ وبالعَدلِ والحريةِ، وأنتم الأضعفُ بالباطلِ وبالظلمِ واستعباد الأشرافِ للمستضعَفين .

رستم : أيَّ حقٍّ وأيّ عدلٍ إذا طمِعْتم في أموالنا ، فطلبْتُم منا الجزيَة بغير حقٍّ؟

المغيرة : هذه الجزيةُ تدفعُونها من أجلِ حمايتكم والذَّبِّ عنكم . فإذا أسلَمْتُم فعليكم دفعُ الصدَقةِ .

رستم : جزيَة .. صدقةٌ .. إنّكم تُريدون المالَ بأيِّ سبيلٍ . تأخذونه منا إذا لم نُسلِم، وتأخذونه منا إذا أسلَمْنا .

المغيرة : هداكَ اللهُ يا رستمُ ، ليسَ الأمرُ كما ذكرتَ . فالجزيَةُ ضريبةُ الدِّفاع نقاتلُ بها عنكم، ونصونُ أموالكم وأعراضكم وأنفسكم ، فإذا عجزْنا عن ذلك فلا جزيَةَ لنا عليكم ، فأمّا الصدقةُ إذا أسلَمتُم فتؤخذُ من أغنيائكم وتردُّ على

فقرائكم ، كما تؤخذُ من أغنيائنا فتردُّ على فقرائنا .

رستم : لقد تبيّن لنا الآن أنكم تأبَوْن إلا القتالَ ، فاعبرُوا إلينا ليفصلَ السيفُ بيننا وبينكم .

المغيرة : بل اعبرُوا أنتم .

رستم : اتركُوا لنا هذه القنطرةَ نعبرُ عليها .

المغيرة : كلاّ لا نردُّ عليكم شيئاً غلبْناكُم عليهِ .

رستم : فماذا نصنعُ إذن ؟

المغيرة : اعبرُوا إلينا من طريقٍ آخرَ غير القنطرةِ ، أو ابْقَوا بهذا المكانِ ما شئتُم ، فإننا باقُون هنا عاماً أو عامَيْن أو أكثرَ ، حتى تقبَلُوا منا إحدى الخصْلتَين الإسلامِ أو الجزْيةِ .

رستم : (في حدّة) كلاّ ليسَ بيننا وبينكم غيرُ السيفِ .

المغيرة : فما الذي يمنعُكم من ذلك ؟ أهذه النُطَيْفة يا رستمُ أم خوفُكَ مما ينتظرُكم بالضفّة

الأخرى من سُوءِ المصيرِ ؟

رستم : اسكُتْ يا أعورُ !

المغيرة : لو كنتُ جبَاناً لبقِيَتْ عيناي سَليمتَيْن كعَينَيْكَ هاتَيْن .

رستم : اسكُتْ .

المغيرة : لا أسْكُتُ حتى تسمَعَ قصةَ عيْني ؛ أتدْرِي أين فقدْتُها ؟

رستم : أينَ ؟

المغيرة : في معْركَةِ اليَرْموكِ ، حيثُ هزَمْنا الروم هزيمةً ماحِقةً .

رستم : غداً يا أعورُ نجعلُك أعْمى ، فإنّ عندَنا الرُّماةَ لا يُخطِئُون الحدَقَ .

المغيرة : ليَكنْ حظُّنا في القادِسيّة مثْلَ حظنا في اليرْموك ، ولتذهَبْ عيْني الثانيةُ . لكنكَ وا آسَفاه لن تَراني وأنا أعمَى كما لم يَرَني باهان قائدُ الرومِ وأنا أعْورُ !!

(يصمت رستم قليلاً كأنما تطيّرَ من هذا القولِ)

رستم : إني ما زلتُ أطمَعُ أن ترجِعُوا إلى صَوابِكم، فأبلِغ أميرَكُم ذلك وقُلْ له يبْعَثْ إلينا رُجلاً يكلمُنا ونكلّمه لعَلنَا نتّفِقُ معَه علىَ شيْءٍ.

المغيرة : حُباً وكرامةً. سيأتيك الرُجلُ غداً ويأتيكَ غيرُه بعْد غدٍ ثم غيرُه ثم غيرُه، لن نَكِلّ أبداً حَتّى تَكِلُّوا أنتم. نحن دُعاةُ حق فأحبُّ شيءٍ إلينا أن تسمَعُوا منا مرّةً بعد مَرّةٍ لعلكم تهْتدُون. إننا لا نرهَبُ قِتالَكم لأننَا واثِقُون بنصْرِ اللهِ لنا، ولكنّ إسلامَكم أحبُّ إلَيْنا مِن غَنائِمِكُم، وحياتَكم أحبُّ إلينا من موْتِكم.

رستم : يا هذا حسْبُك! إني حمّلتُكَ رسالةً إلى أميرِك وأريد جوابَها منْه لا منْك.

المغيرة : يا رُستم أنا وأميري شَيءٌ واحدٌ. نحن المسْلِمينَ كالجسَدِ الواحدِ بعضُنا من بعْض

يُجِير أدْنَانا على أعلانا، ولسْنا مثْلَكم بعضُكم أرْبابُ بعْضٍ. (يخرج)

(يتسلَلُ الخدمُ والأتباعُ خارِجينَ خلفَه لينظُروا إليه)

الفيرزان : أرَأيتُم كيف افتَتن به العبيدَ والسِّفْلةُ؟ لقد رَمى بكَلامٍ لا يزالُ عبيدُنا ينْزِعُون إليْه.

الجالينوس : ليْتَنا كنا منَعْنا هؤلاءِ السِّفْلةَ والعبيدَ من دُخولِ هذا السُّرادَق اليْومَ.

جاذويه : أجَلْ لقد كثُرُوا اليومَ كأنّما دَعاهُم داعٍ.

الهرمزان : كلاّ يا قومُ لقد سمِعُوا شيئاً منْ هذا الكلامِ أمس، فلَوْ مَنعْتُمُوهم اليومَ لكَانَ ذلك أحْرَى أن يُضاعف الخطَرُ الذي تخشَوْنَه.

الفيرزان : ما كانَ ينْبغِي أن يُسْمَحَ لهؤلاءِ العرَبِ بالحضُورِ ألْبتةَ. لقَدْ كانَ ذَلك من خطَلِ الرأي.

رستم : كُنْ أنت يا فيرزان كالنّعامة تُخْفي رأسها في الرّمل حين ترَى الخطرَ . أما أنا فليْسَ ذَلك من طَبْعِي ولا أرْضاه لقوْمي.

الفيرزان : أفيُرضيكَ أن يفتّتن عبيدُنا وخدَمُنا بأقْوالِ هؤلاءِ ومَذْهبهم؟

رستم : بل أشْفِقُ عليْهم من ذَلك .

الفيرزان : فما تَمادِيكَ في دَعْوةِ هؤُلاءِ للحُضُورِ واحداً بعْدَ واحدٍ ؟ لقد جاءكَ ثلاثةٌ منهم فسمِعْتَ منهم وسمِعُوا منكَ ، فَماذَا تُريدُ بعْدُ ؟ أتطمع أن تحمِلَهم على ترْكِ دينِهم لعلكَ تقْتَنعُ به فتعْتنِقَهُ ؟

الهرمزان : أَجلْ يا رُسْتمُ ، ما كان لكَ أن تطلُبَ منهُم رُجلاً آخرَ بعد هَؤُلاءِ الثلاثةِ .

رستم : أوّاه ! ماذَا أَصْنَعُ لأجعلَكُم تفْهَمُون ما أَرْمِي إليْه؟ إنّي أُطاوِلُهم لعلّ أمْراً يحدُثُ ممّا لا يخطُرُ لنَا ولا لُهم على بَالٍ. لعلّ خِلافاً في الرأْيِ يقَعُ بينَهُم . فقدْ

بلَغَني أن فريقاً منْهم قد شَغَبُوا على أميرهم سعْدٍ . قلْ لَهُم يا جاذويه ماذا حدَثَ ؟

جاذويه : أنْكَرُوا على أميرهم احتِجَابَه عنهم في قصْرِ قُديس لمرَضِهِ وعجْزِهِ عن الخرُوج .

الفيرزان : إذن فماذَا تنتظِرُون ؟ هذا أصلَحُ وقْتٍ لمنَاجزَتهم القِتالَ إن كنتم تريدون القتَال ، وإلافيا ضَيْعَةَ فَارِس في قائدِها! بالليلِ ينظُرُ في النجُوم وبالنهارِ ينظر في وُجُوهِ العَرَب !

رستم : ما أنت وَذَاك ؟ إنّما أنْت فيّاش فإذا عَضّتْكَ الحربُ بنابِها فَررْتَ ونَجْوتَ بنفْسِكَ .

الفيرزان : سَوْفَ يَعلمُ الجيشُ غداً أيّنَا الفيّاشُ .

رستم : إنّكَ خرَجْتَ معنا وعقْلُك في المدَائِن تدبر الخُطَطَ للمستقْبَل، وَيْلَك إن خَسِرْنَا هذه المعرَكةَ فلنْ يكُونَ لفارسَ مُستقبَلٌ .

الفيرزان : رمَتْني بدائِها وانسلَّتْ. بلْ أنت الذي تركْتَ عقْلَكَ في المدائِنِ.. في مخْدَعٍ هُناكَ. إنّكَ لا تُريد أن تُحارِبَ خشيةَ أن تفقِدَ حياتَكَ، فيُقيمُ في المخْدَع سِواك.

رستم : كذبَتْكَ نفسُكَ. لقد عزَمْتُ أن أُناجزَهم القتالَ، فاستعِدّ أيُّها الفارسُ الشجاعُ.

الجميع : متى يا رُستم؟

رستم : في الحالِ

الهرمزان : لكنك أرسَلْتَ إلى أميرِهم ليبعَثَ لك رجلاً آخرَ.

رستم : لا بأسَ.. لكي نفاجِئَهم على غِرّةٍ. انصَرفوا الآن. ليذْهَبَ كلُّ قائدٍ إلى رِجاله فليأمرْهم بالتعْبئة ليكونُوا على أهْبةٍ.

(يخرجون جميعاً ما عدا جاذويه والبندوان فقد استبقاهُما بإشارَة من يَدِه)

جاذويه : ماذا حمَلَكَ على تغييرِ خُطَّتِك؟ إن كانَ الفيرزان فسنكفيكَ.

رستم : لوْ كان الفيرزان وحدَه لهانَ علينا أمرُه. ولكن ماذا نصْنَعُ في شاهِنْشاه؟ لقد أرْسَل إليّ اليومَ يُهَدِّدُني إن لم أعْبُر إليْهم وأناجزُهم القتالَ ليحضُرَنّ هو بنفسه.

جاذويه : لا مَناصَ إذن من المُناجزَةِ.

رستم : فليشْهَدْ التاريخُ غداً أنني أُكْرِهتُ على هذه الخطّةِ، وأنّني أطعْتُ مَليكي وعصَيْتُ صوابي.

البندوان : وعَلامَ عوّلْتَ يا أخي؟ على اقْتحامِ القنْطَرَة أمْ رَدْمِ العتيقِ؟

رستم : ماذا ترى يا جاذويه؟

جاذويه : إنّ جيْشَنا كبيرٌ والقنطرة غيْرُ مأمونةٍ حتى لو انتزَعْناها من يَدِ العدُو، فإذا أرَدْنا أن نضْمَنَ لنا طريقاً ثابتاً، والا

يُشْطَرَ بعضُ جيْشِنا عن بعض فلنرْدِمْ جانباً مِنَ النّهر .

رستم : أحسنْتَ يا جاذويه ، هذا هُو الرأْيُ الذي عوّلْتُ عليه قد زِدْتَني به بَصِيرةً . آه لو وَافَقَني على خُطَّتي هذا الملكُ الصغيرُ . إذن لطاوَلْتُ هؤلاءِ العربَ وصابَرْتُهم ، وإذن لضمنْتُ النصرَ .

جاذويه : لا تبْتَئِسْ يا رستم فإننا سننْتصر عليْهم بمشِيئَةِ أهْرِمَن .

رسم : (يتمتم شاردَ الفكرِ كأنهُ لم يسمعْ ما قالَه جاذويه) أوّاه لقد غَلبَني عُمرُ .. عمرُ أكَلَ كَبدِي .. أكَلَ كَبدِي عمرُ !!

(ستار)